جامعـــة الأزهـــر
كليـــة أصول الديـــن
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

أسلوب القلب فى القرآن الكريم

بين النظرية والتطبيق

إعـــــداد
دكتور/ مصطفى شعبان البسيونى مسعد
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

من مباحث علم المعانى[١] وهو العلم الذى يدرك به إعجاز القرآن الكريم من جهة ما خصه الله به من جودة السبك وحسن الرصف وبراعة التركيب، ولطف الإيجاز، وما اشتمل عليه من سهولة التركيب وجزالة كلماته، وعذوبة ألفاظه وسلامتها إلى غير ذلك من محاسنه التى أقعدت العرب عن مناهضته وحارت عقولهم أمام فصاحته وبلاغته[٢]. فمن فيض الله علىَّ أن هدانى لهذه الدراسة التى كنت بمنأى عنها لولا توفيقه ورعايته، فبينما كنت أتصفح كتاب الإمام ابن قتيبة الدينورى "تأويل مشكل القرآن" وهو من أمهات الكتب فى علوم القرآن وقفت على مبحث من مباحثه بعنوان "المقلوب" نابنى منه شىء من الغموض، وشعرت فى نفسى بالخجل لعدم معرفتى به، فأيقظ ذلك همتى وحرك عزيمتى لدراسته دراسة وافية تروى ظمئى وتشبع نهمى، فرجعت إلى أمهات الكتب فى التفسير وعلوم القرآن وعلوم البلاغة لأجد بغيتى المفقودة وضالتى المنشودة، فخرجت منها بزاد وفير ومعرفة غير قليلة وفهم مستنير أهلنى للبحث فى هذا الموضوع الذى تباينت فيه آراء العلماء ما بين مؤيد لوقوعه فى القرآن الكريم أو معارض له أو مفصل للقول، وما كان لمثلى أن يجترأ على الخوض فى هذا المضمار لولا توفيق الله وعنايته فما أصابنى من توفيق فمنه وحده، وما اعترانى من خطأ أو نسيان فمن نفسى ومن الشيطان. وقد ترجمت له بعنوان "أسلوب القلب فى القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق"، وقسمته إلى مقدمة وضمنتها تلميحاً لسبب اختيارى للموضوع، وفصلين:

---

(١) علم المعانى هو علم يعرف به أحوال اللفظ التى بها يطابق مقتضى الحال وقيل هو العلم الذى يحترز به عن الخطأ فى تأدية المعنى الذى يريده المتكلم لإيصاله إلى ذهن السامع انظر الإيضاح فى علوم البلاغة للقزوينى ١/ ٥٢ ط مكتبة الأداب وجواهر البلاغة للسيد الهاشمى صـ٣ دار الكتب العلمية.

(٢) انظر جواهر البلاغة صـ٣٩.

الفصل الأول: القواعد النظرية لأسلوب القلب ويحتوى على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القلب بين اصطلاحات الفنون.

المبحث الثانى: أنواع القلب

المبحث الثالث: أسلوب القلب فى القرآن الكريم بين المؤيدين والمعارضين.

الفصل الثانى: دراسة تطبيقية لبيان القول بالقلب فى القرآن وعدمه.

الخاتمة

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

راجى عفو ربه

د/ مصطفى شعبان البسيونى مسعد

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

الفصل الأول

القواعد النظرية لأسلوب القلب

ويحتوى على المباحث التالية

المبحث الأول: القلب بين اصطلاحات الفنون

المبحث الثانى: أنواع القلب

المبحث الثالث: أسلوب القلب فى القرآن الكريم بين المؤيدين والمعارضين

المبحث الأول

القلب بين اصطلاحات الفنون

"القلب لغة: تحويل الشيء عن وجهته قَلَبه يَقْلِبُه قلبا، وكلام مقلوب مصروف عن وجهه"(١).

وأما اصطلاحاً: فقد اختلفت فيه المآرب وتباينت الوجهات تبعاً لتنوع مفهومه بين الفنون المختلفة، فذهب أهل كل فن إلى اصطلاح يلائم طبيعة منهجه، فاصطلاح الأصوليين يخالف اصطلاح المحدثين، واصطلاح الصرفيين يخالف اصطلاح البلاغيين، وأهل البلاغة أنفسهم يختلف بينهم الاصطلاح، فاصطلاحه فى علم المعانى يغاير اصطلاحه فى علم البديع، وإليك بيان ذلك بالتفصيل حتى تكون على بينة من الأمر ويرتفع عنك اللبس والريب.

أولاً: القلب فى اصطلاح الأصوليين وأهل المناظرة:

وهو قسم من المعارضة التى فيها مناقضة كما يستفاد من التوضيح وهو نوعان

الأول: قلب العلة حكما والحكم علة ومثاله:

قول أصحاب الشافعى فى أن الإسلام ليس من شرائط الإحصان، حتى لو زنى الذمى الحر الثيب يرجم عندهم. فالكفار جنس يجلد بكرهم مائة ويرجم ثيبهم كالمسلمين الأحرار منهم، وبقوله مائة أشار إلى ذلك، فإن البكر من العبيد لما لم يجلد مائة لم يرجم الثيب منهم، والبكر والثيب يقعان على الذكر والأنثى ... فجعلوا جلد المائة علة لوجوب الرجم ... فقلنا المسلمون إنما يجلد بكرهم لأن ثيبهم يرجم لا أنه يرجم ثيبهم لأنه يجلد بكرهم، فجعلنا ما نصبه علة فى الأصل وهو جلد المائة حكما، وما جعله حكما فيه وهو رجم الثيب علة"(٢).

---

(١) لسان العرب مادة قلب ١/ ٦٨٥ ط دار صادر والمصباح المنير ٢/ ٥١٢ المكتبة العلمية.

(٢) كشف الأسرار لعلاء الدين بن عبد العزيز بن أحمد البخارى ٤/ ٧٧ ط دار الكتب العلمية سنة ١٩٩٧م.

الثانى: قلب الوصف شاهداً على الخصم بعد أن كان شاهداً للخصم وهذا هو الذى يسميه أهل المناظرة بالمعارضة بالقلب، فالمعارضة بالقلب قلب دليل المستدل دليلاً للسائل وهى كثيراً ما تكون فى المغالطات[١] ومثاله:

أن يعلل حنفى فى الاعتكاف بغير الصوم بأنه لبث محض فلا يكون قربة بمفرده كالوقوف بعرفة، فيقول المعترض لبث محض فلا يعتبر الصوم فى كونه كالوقوف بعرفة، وفى هذا المثال لم يتعرض المستدل لبيان بطلان مذهب خصمه. وهناك نوع آخر من هذا القلب، وهو أن يتعرض لبطلان مذهب خصمه كما لو قال حنفى فى مسح الرأس ممسوح فى الطهارة فلا يجب استيعابه كالخف، فيقول خصمه ممسوح فى الطهارة فلا يتقدر بالربع كالخف"[٢].

ثانياً: القلب فى اصطلاح المحدثين:

وهو قلب إسناد حديث بإسناد حديث آخر إما بكله أو بعضه، أو قلب متن حديث بمتن حديث آخر والأول هو الأكثر، فمن الأول ما يكون اسم أحد الراويين اسم أبى الآخر مع كونهما من طبقة واحدة فيجعل الراوى سهواً ما هو لأحدهما للآخر كمرة بن كعب وكعب بن مرة لأن اسم أحدهما اسم أب الآخر ... ومنه أن يكون الحديث مشهوراً براوٍ فيجعل مكانه راو آخر فى طبقته ليصير بذلك غريباً ليرغب فيه، كحديث مشهور لسالم فيجعل مكانه نافع، ومنه قلب سند تام لمتن آخر يروى بسند آخر لقصد امتحان حفظ المحدث كقلب أهل بغداد على البخارى رحمه الله تعالى مائة حديث امتحانا فردها على وجهها.

---

(١) انظر موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٢/ ١٣٣٩ طـ مكتبة لبنان ناشرون الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦ والمناظرة فى أصول التشريع الإسلامى دراسة فى المناظرة بين ابن حزم والباجى للأستاذ المصطفى الوظيفى سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

(٢) روضة الناظر لابن قدامة المقدسى ١/ ٣٤٤، ٣٤٥ ط جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض الثانية ١٣٩٩هـ.

وأما الثانى وهو مقلوب المتن فقد جعله بعض المتأخرين نوعاً مستقلاً سماه المنقلب وعرفه بأنه: الذى ينقلب بعض لفظه على الراوى فيتغير معناه كحديث أبى هريرة عند مسلم فى السبعة الذين يظلهم الله فى ظل عرشه ففيه "ورجل تصدق بصدقة أخفها حتى لا يعلم يمينه ما ينفق شماله"[١] فهذا مما انقلب على أحد الرواة، وإنما هو حتى لا يعلم شماله ما ينفق يمينه كما فى الصحيحين[٢].

ثالثاً: القلب فى اصطلاح الصرفيين:

هو إبدال حروف العلة والهمزة بعضها مع بعض فهو أخص من الإبدال[٣] ويطلق أيضاً عندهم على تقديم بعض حروف الكلمة على بعض ويسمى قلباً مكانياً"[٤] ومن أمثلة القلب عند الصرفيين: قلب الواو ألفاً مثل قال وصام أصلها قَوَل وصَوَم تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، وقلب الياء ألفا مثل باع أصلها بيع تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا.

ومن أمثلة القلب المكانى قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾[٥] وقوله تعالى ﴿جُرُفٍ هَارٍ﴾[٦] قال صاحب المحرر الوَجيز رحمه الله وقيل فى عاد أن

---

(١) صحيح البخارى كتاب الزكاة باب الصدقة باليمين ٢/ ٥١٧ ط دار ابن كثير اليمامة بلفظ حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وصحيح مسلم كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة ٢/ ٧١٥ ط دار إحياء التراث العربى بلفظ حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله.

(٢) انظر كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ١٣٣٩، ١٣٤٠ وتدريب الراوى النوع الثانى والعشرون ١/ ٢٩١ وما بعدها ط مكتبة الرياض الحديثة.

(٣) فبين الإبدال والقلب عموم وخصوص مطلق، فحروف الإبدال جمعها ابن مالك فى قوله "هدأت موطيا" منها المهموز والصحيح والمعتل، أما حروف القلب فهى خاصة بحروف العلة والهمز فقط راجع تفصيل ذلك فى شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك ٤/ ٢١٠ ط دار الفكر سوريا ١٩٨٥ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد.

(٤) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ١٣٣٦.

(٥) البقرة آية ١٧٣.

(٦) التوبة آية ١٠٩.

معناه عايد فهو من المقلوب كشاكى السلاح أصله شايك وكهار أصله هاير وكلاث أصله لائث وباغ أصله بايغ استثقلت الكسرة على الياء فسكنت والتنوين ساكن فحذفت الياء والكسرة تدل عليها"[١].

فأصل الكلمات قبل القلب باغِي وعادِي وهارِي بياء وتنوين فاستثقلت الكسرة على الياء فصارت ساكنة باغِي وعادِي وهارِي والتنوين ساكن فاجتمع ساكنان فحذفت الياء فى كل فصارت باغ وعاد وهار.

رابعاً: القلب فى اصطلاح علماء البديع:

ويسمى الطرد والعكس والمقلوب المستوى، وما لا يستحيل بالانعكاس، وهو أن يكون الكلام إذا ابتدأته من حرفه الأخير، وذهب كذلك إلى حرفه الأول يحصل منه عين ما يحصل من ابتدائه كقوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾[٢].

وقوله تعالى ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[٣] ولا ثالث لهما فى القرآن[٤] ومنه قوله الشاعر:

مودته تدوم لكل هول ∴ وهل كل مودته تدوم[٥]

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٢٤٠ ط دار الكتب العلمية.

(٢) الأنبياء آية ٣٣.

(٣) المدثر آية ٣.

(٤) شرح التلخيص فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى صـ٤٠٤ ط دار الفكر العربى والتحرير والتنوير ٩/ ١٥٥ ط الدار التونسية والاتقان فى علوم القرآن ٢/ ١١٩ ط دار عالم المعرفة.

(٥) البيت للقاضى أحمد بن محمد الأرجانى بفتح الهمزة وكسر الراء مع خلاف فى تشديدها وتخفيفها له شعر رائق وكان قاضى نسترو وهو وإن كان فى العجم ففى العرب محتدة وكان فقيها شاعراً توفى سنة أربع وأربعين وخمس مائة والبيت ذكره اليافعى فى مرآة الجنان والذهبى فى تاريخ الإسلام وابن حجة الحموى فى خزانة الأدب، انظر مرآة الجنان لأبى محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى جـ٣ صـ٢٨١ ط دار الكتاب الإسلامى وتاريخ الإسلام

خامساً: القلب فى اصطلاح أهل المعانى:

وهو جعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر والآخر مكانه قال التهانوى: ولا ينتقض بقولنا فى الدار زيد، وضرب عمراً زيد لآن المراد بالجعل مكان الآخر أن يجعل متصفاً بصفة لا مجرد أن يوضع موضعه، فدخل فى جعل أجزاء أحد الكلام مكان الآخر ضرب عمراً زيد حيث جعل المفعول مكان الفاعل وخرج بقولنا والآخر مكانه، وهو قسمان لفظى ومعنوى وسيأتى بيانهما فى أمثلته"[١].

وهذا الأخير هو المراد فى هذا البحث والمنشود بالدراسة فلا نتعداه إلى غيره والله الموفق.

للذهبى جـ٣٧ صـ١٧٩ ط دار الكتاب العربى وخزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموى جـ٢ صـ٣٧ ط دار ومكتبة الهلال الأولى سنة ١٩٨٧م.

(١) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ١٣٣٦ وما بعدها. وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة د/ عبد المتعال الصعيدى صـ١٢٢ ط مكتبة الأداب سنة ١٩٩٩م.

المبحث الثانى

أنواع القلب

بناءًا على ما سبق تأسيسه فى المبحث السابق من بيان تنوع مفهوم القلب فى اصطلاحات الفنون المختلفة، وخاصة علوم البلاغة الثلاثة "المعانى – البيان البديع" فقد التبس الأمر على بعض المعنيين بدراسته، واضطربوا فى تنويعه اضطراباً بينا، فجعلوا للقلب أنواعاً مختلفة تندرج تحت جنس واحد وهو القلب، وما هى بأنواع له فى الحقيقة، غاية ما فى الأمر أنها مباحث متنوعة تخضع لفنون شتى الجامع بينها اسم القلب دون حقيقته، فالإمام ابن قتيبة – رحمه الله – أدخل فيه ما ليس منه فجعل باب التضاد نوعا من أنواعه، والإمام الزركشى أدخل فى أقسامه قلب التسويه والعكس ومقلوب البعض وذا من المحسنات البديعية، والسيوطى – رحمه الله – جعل من أقسامه قلب التشبيه وهو من مباحث البيان وإليك تفصيل ما تقدم.

أولاً: منهج ابن قتيبة رحمه الله فى بيان أنواع القلب

ذهب ابن قتيبة – رحمه الله – فى كتابه تأويل مشكل القرآن إلى أن المقلوب على ضربين:

الأول: ما يتصل بالمعنى.

الثانى: ما يتصل بموقع اللفظ فى التعبير أو التركيب.

أما الضرب الأول – وهو ما يتصل بالمعنى – فأراد به التضاد وهو استعمال اللفظ فى معنيين متضادين ثم ذكر الدواعى المؤدية إليه فذكر منها:

أ– أن يوصف الشىء بضد صفته للتطير والتفاؤل، كقولهم للديغ سليم، تطيرا من السقم، وتفاؤلا بالسلامة، وللعطشان ناهل أى سينهل يعنون: يروى، وللفلاة مفازة أى منجاة وهى مَهْلَكة"[1].

(١) تأويل مشكل القرآن صـ١٨٤ المكتبة العلمية بيروت الثالثة سنة ١٩٨١م.

ب– المبالغة فى الوصف كقولهم للشمس جَوْنةٌ[1] لشدة ضوئها، وللغراب أعور، لحدة بصره[2].

جـ– الاستهزاء: كقولهم للحبشى أبو البيضاء، وللأبيض أبو الجون. ومن هذا قول قوم شعيب ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ –هود آية ٨٧– كما تقول للرجل تستجهله: ياعاقل ... قال قتادة: ومن الاستهزاء قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ. لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ –آية ١٢، ١٣ الأنبياء – وأما قول الله سبحانه ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ – الدخان آية ٤٩ – فبعض الناس يذهب به هذا المذهب، أى أنت الذليل المهان، وبعضهم يريد: أنت العزيز الكريم عند نفسك وهو معنى تفسير "ابن عباس" لأن أبا جهل قال: ما بين جبليها أعزمنى ولا أكرم، فقيل له "ذق إنك أنت العزيز الكريم"[3].

د– أن يسمى المتضادان باسم واحد والأصل واحد – وذلك للتوسع فى دلالة بعض الألفاظ – فيقال للصبح صريم ولليل صريم. قال الله سبحانه ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ – القلم آية ٢٠– لأن الليل ينصرم عن النهار، والنهار ينصرم عن الليل، وللظلمة: سُدْفةٌ وللضوء سدفة، وأصل السدفة السُتْرَةُ، فكأن الظلام إذا أقبل ستر للضوء، والضوء إذا أقبل ستر للظلام.

(١) الجون الأسود اليحمومى والأنثى جونة وقال ابن سيدة الجون الأسود المشرب حمرة وقيل هو النبات الذى يضرب إلى السواد من شدة خضرته، والجون أيضاً الأحمر الخالص والجون الأبيض – قال ابن سيدة الجونة الشمس لاسوادها إذا غابت قال وقد يكون لبياضها وصفائها. لسان العرب ١٣/ ١٠١ وما بعدها.

(٢) تأويل مشكل القرآن صـ١٨٤.

(٣) السابق صـ١٨٥، صـ١٨٦ بتصرف.

ولليقين ظن وللشك ظن لأن فى الظن طرفا من اليقين قال الله عز وجل ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ﴾ – البقرة آية ٢٤٩ – أى يستيقنون، وكذلك ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ – الحاقة ٢٠ – وقوله ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ –الكهف آية ٥٣ – ﴿إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ البقرة ٢٣٠– هذا كله فى معنى اليقين ... وللمشترى: شار وللبائع: شار لأن كل واحد منهما اشترى. وكذلك قولهم لكل واحد منهما: بائع لأنه باع وأخذ عوضاً مما دفع فهو شار وبائع. قال الله عز وجل: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ – يوسف آية ٢٠– أى باعوه. وقال ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ – البقرة آية ١٠٢– إلى آخر ما ذكر ابن قتيبة من الأمثلة التى يضيق المقام بسردها. ويلاحظ على ما تقدم أن ابن قتيبة – رحمه الله – قد حاد بنا عن جادة طريقنا وما نرمى إليه، فلقد أفرد اللغويون لهذا النوع بابا مستقلا يسمى بالتضاد، ودونت فيه مصنفات عديدة بين مؤيد ومعارض له[1].

الضرب الثانى: الذى يتصل بموقع اللفظ فى التعبير أو التركيب، وهو ما عبر عنه بقوله: ومن المقلوب أن يقدم ما يوضحه التأخير، ويؤخر ما يوضحه التقديم كقول الله تعالى ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ – إبراهيم آية ٤٧ – أى مخلف رسله وعده؛ لأن الإخلاف قد يقع بالوعد كما يقع بالرسل، فتقول: أخلفت الوعد، وأخلفت الرسل، وكذلك قوله سبحانه: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ –الشعراء آية ٧٧– لأن كل من عاديته عاداك. وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ – النجم آية ٨ – أى تدلى فدنا؛ لأنه تدلى للدنو، ودنا بالتدلى. إلى آخر ما ذكر من

(١) ومن هذه المصنفات الأضداد للأنبارى تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ط المكتبة العصرية صيدا بيروت.

الأمثلة التى سأتناولها بالتفصيل عند الحديث عن الدراسة التطبيقية لهذا البحث إن شاء الله تعالى.

وتحت هذا النوع يتعرض ابن قتيبة لما أطلق عليه القلب على الغلط كقول: خداش بن زهير[1]:

وتُرْكَبُ خيلٌ لا هَوَادةَ[2] بينها ... وتعصى الرماح بالضَّيَاطِرَةِ[3] الحُمْرِ[4]

أى تعصى الضياطرة بالرماح، وهذا ما لا يقع فيه التأويل؛ لأن الرماح لا تعصى بالضياطرة وإنما يعصى الرجال بها أى يطعنون .... وقال آخر:

كانت فريضة ما تقول كما ... كان الزناء فريضة الرجم[5]

أراد كما كان الرجم فريضة الزنا.

ويعترض ابن قتيبة على بعض اللغويين فى تأويلهم لبعض آيات الله على أنها من قبيل هذا القلب والأمر بخلافه فيقول:

"وكان بعض أصحاب اللغة يذهب فى قول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ – البقرة آية ١٧١ – إلى مثل هذا

(١) هو خداش بن زهير بن ربيعة ينتهى نسبة إلى عامر بن صعصعة العامرى شهد حنينا مع المشركين ثم أسلم خداش بعد ذلك بزمان. انظر الإصابة فى تمييز الصحابة ٢/ ٣٥٨ ط دار الجيل الأولى سنة ١٩٩٢م وطبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى ١/ ١٤٣ ط دار المدنى جدة.

(٢) الهوادة: اللين وما يرجى به الصلاح بين القوم لسان العرب مادة هَوَد ٣/ ٤٤٠.

(٣) الضيطر هو الضخم اللئيم لسان العرب مادة ضَطَر ٤/ ٤٨٨.

(٤) جمهرة أشعار العرب صـ١٦٢ ط دار الأرقم ولسان العرب ٤/ ٤٨٩ ط دار صادر.

(٥) خزانة الأدب لابن حجة الحموى ٤/ ٢٤٤ ط دار ومكتبة الهلال الأولى سنة ١٩٨٧ ومعاهدة التنصيص على شواهد التلخيص للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسى ١/ ١٧٨ ط عالم الكتب بيروت ١٩٤٧ تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد والبيت لم يعرف قائله.

فى القلب، ويقول: وقع التشبيه بالراعى فى ظاهر الكلام، والمعنى للمنعوق به وهو الغنم، وكذلك قوله سبحانه ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾[1] أى تنهض بها وهى مثقلة، وقال آخر فى قوله سبحانه ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[2] أى وإن حبه للخير لشديد، وفى قوله سبحانه ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[3] أى اجعل المتقين لنا إماماً فى الخير.

ويعلق ابن قتيبة على ما سبق فيقول: وهذا ما لا يجوز لأحد أن يحكم به على كتاب الله عز وجل لو لم يجد له مذهباً؛ لأن الشعراء تقلب اللفظ وتزيل الكلام على الغلط أو على طريق الضرورة للقافية، أو لاستقامة وزن البيت"[4].

ثانياً: تقسيم علماء المعانى للقلب باعتبار الداعى إليه:

قسم البلاغيون القلب باعتبار الداعى إليه إلى قسمين "لفظى ومعنوى" بيد أنه مغاير لما ذهب إليه ابن قتيبة.

فقالوا: لابد فى الحكم بالقلب من داعٍ لفظى أو معنوى فهو ضربان: أحدهما أن يكون الداعى إلى اعتباره من جهة اللفظ بأن يتوقف صحة اللفظ عليه ويكون المعنى تابعاً للفظ، بأن يكون معنى التركيب القلبى معنى التركيب غير القلبى، كما إذا وقع ما هو فى موقع المبتدأ نكرة وما هو موقع الخبر معرفة كقوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ آل عمران آية ٩٦ – أى إن الذى ببكة أول بيت وضع للناس .. وكقول الشاعر:

---

(١) القصص آية ٧٦.

(٢) العاديات آية ٨.

(٣) الفرقان آية ٧٤.

(٤) تأويل مشكل القرآن صـ٢٠٠ وسيأتى المزيد من التوضيح لهذه المسألة فى المبحث التالى إن شاء الله تعالى.

قفى قبل التفرُّق ياضباعا ∴ ولا يك موقفا منك الوداعا[1]

أى لا يكون موقف الوداع موقفاً منك.

وثانيهما: أن يكون الداعى إليه من جهة المعنى لتوقف صحة المعنى عليه، ويكون المعنى تابعا على اللفظ بأن يكون معنى هذا اللفظ فى التركيب القلبى معنى التركيب الغير القلبى نحو أدخلت القلنسوة فى الرأس والخاتم فى الأصبع، ونحو عرضت الناقة على الحوض إذ المعنى عرضت الحوض على الناقة ... ولعل النكتة فى القلب فى هذه الأمور أن العادة تحرك المظروف نحو الظرف، والمعروض نحو المعروض عليه"[2].

والخلاصة: أن القلب على ضربين لفظى ومعنوى بيد أنهما متغايران فى مفهومهما بين ابن قتيبة وعلماء البلاغة فالأول أطلق المعنوى على التضاد، والبلاغيون أرادوا به القلب نفسه وجعلوا الداعى إليه جهة المعنى أى أن صحة المعنى يتوقف عليه ويكون اللفظ تابعاً له، وهذا الاعتبار لم يلتفت إليه ابن قتيبة، بل جعله من قبيل القلب اللفظى، فالقلب فى الحقيقة عنده يكون باعتبار ما يتصل بموقع اللفظ فى التعبير فقط والله أعلم.

ثالثاً: مسلك الإمامين الزركشى والسيوطى فى تقسيم القلب:

ذكر الإمامان الزركشى والسيوطى – رحمهما الله تعالى – ستة أنواع للقلب جلها خارج عما نحن بصدده فى هذا البحث وإليك بيان ذلك بالتفصيل.

الأول: قلب الإسناد: وهو أن يشمل الإسناد إلى شىء والمراد غيره كقوله تعالى: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾، إن لم تجعل الباء للتعدية لأن ظاهره أن المفاتح

---

(١) البيت للقطامى انظر ديوان المتنبى ٢/ ١٣٩ ط دار المعرفة ومعاهدة التنصيص ١/ ١٧٩.

(٢)انظر موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ١٣٣٦ وما بعدها وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة د/ عبد المتعال الصعيدى صـ١٢٢ طـ مكتبة الآداب سنة ١٩٩٩م.

تنوء بالعصبة ومعناه أن العصبة تنوء بالمفاتح لثقلها فأسند لتنوء إلى المفاتح والمراد إسناده إلى العصبة؛ لأن الباء للحال، والعصبة مستصحبة المفاتح لاتستصحبها المفاتيح، وفائدته المبالغة بجعل المفاتح كأنها مستتبعة للعصبة لثقلها"[1].

الثانى: قلب المعطوف: إما بجعل المعطوف عليه معطوفاً، والمعطوف معطوفاً عليه كقوله تعالى: ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ – النمل آية ٢٨ – حقيقته فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم لأن نظره ما يرجعون من القول غير متأت مع توليه عنهم وما يفسر به التولى من أنه يتوارى فى الكوة التى ألقى منها الكتاب مجاز والحقيقة راجحة عليه"[2] وزاد الزركشى فى البرهان. الثالث العكس: وهو أمر لفظى كقوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ – الأنعام آية ٥٢ – وقوله ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ –البقرة آية ١٨٧– وقوله: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ – الممتحنة آية ١٠–.

الرابع: المستوى: وهو أن الكلمة تقرأ من أولها إلى آخرها ومن آخرها إلى أولها لا يختلف لفظها ولا معناها كقوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ – الأنبياء آية ٣٣– وكقوله ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ – المدثر آية ٣–.

الخامس: مقلوب البعض وهو أن تكون الكلمة الثانية مركبة من حروف الكلمة الأولى مع بقاء بعض حروف الكلمة الأولى كقوله تعالى: ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي

(١) البرهان فى علوم القرآن ٣/ ٢٨٨ ط دار المعرفة والاتقان فى علوم القرآن ٢/ ٤٩ ط دار عالم المعرفة.

(٢) البرهان فى علوم القرآن ٣/ ٢٩٢.

إِسْرَائِيلَ﴾[1] فبنى مركب من حروف بين وهو مفرق إلا أن الباقى بعضها فى الكلمتين وهو أولها[2].

والسادس – ذكره السيوطى – وهو قلب التشبيه[3].

وأنت ترى معى أن ما ذكر من أنواع باستثناء الأول والثانى خارج عما نحن بصدده إذ محلها علمى البديع والبيان، فقلب التسوية وكذلك قلب العكس وقلب البعض من المحسنات البديعية، أما قلب التشبيه فمحله علم البيان تحت باب التشبيه فتنبه حتى لا يختلط عليك الأمر ولا تتفرق بك السبل فتضل الطريق وتزيغ عن المراد والله الهادى إلى سبيل الرشاد.

(١) طه آية ٩٤.

(٢)البرهان فى علوم القرآن ٣/ ٢٩٢ وما بعدها.

(٣) الاتقان فى علوم القرآن ٢/ ٥٠.

المبحث الثالث

أسلوب القلب فى القرآن الكريم

بين المؤيدين والمعارضين

تباينت أقوال العلماء فيه إلى ثلاثة مذاهب:

الأول: الجواز المطلق

الثانى: المنع المطلق

الثالث: التفصيل بين أن يتضمن غرضاً بلاغياً فيجوز أو لا فيمتنع وإليك مذاهب العلماء بالتفصيل.

أولاً: مذهب القائلين بالجواز المطلق

وعلى رأسهم من أئمة اللغة والبلاغة "أبو عبيدة والمبرد والسكاكى".

قال أبو عبيدة – رحمه الله – فى قوله تعالى ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[1] مجازه خلق العجل من الإنسان وهو العجلة، والعرب تفعل هذا إذا كان الشيء من سبب الشيء بدءوا بالسبب، وفى آية أخرى، "ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة"[2] والعصبة هى التى تنوء بالمفاتيح ويقال: إنها لتنوء عجيزتها والمعنى أنها هى التى تنوء بعجيزتها"[3].

وممن ذهب إلى القول بالجواز المطلق ولكن زاد شرطا وهو أمن اللبس المبرد – رحمه الله – فيقول فى كتابه الكامل فى اللغة والأدب، والكلام إذا لم يدخله لبس جاز القلب للاختصار قال الله عز وجل: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ

(١) آية ٣٧ الأنبياء.

(٢) آية ٧٦ القصص.

(٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١/ ٣٨، ٣٩ ط مؤسسة الرسالة.

بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ – القصص ٧٦– والعصبة تنوء بالمفاتح أى تستقل بها فى ثقل ومن كلام العرب: إن فلانة لتنوء بها فى عجيزاتها، والمعنى لتنوء بعجيزاتها.

وأنشد أبو عبيدة للأخطل:

أما كليب بن يربوع فليس لها ∴ عند التفاخر إيراد ولا صدر

مخلفون ويقضى الناس أمرهم ∴ وهم بغيب وفى عمياء ما شعروا

مثل القنافذ هداجون قد بلغت ∴ نجرانُ أو بلغت سواءاتهم هجرُ[1]

فجعل الفعل للبلدتين على السعة[2] وكان الوجه أن يقول بلغت سوآتهم بالرفع ونجران وهجر بالنصب فقلب.

فالمبرد – رحمه الله – استشهد على صحة ما ذهب إليه بالقرآن الكريم والنثر والشعر العربيين، بيد أنه لم يسلم له ما أراد، فقد تعقبه الآمدى – رحمه الله – بقوله: "وما علمت أحداً قال: القلب جائز للاختصار غيره فلو قال لإصلاح الوزن أو للضرورة كما قال غيره كان ذلك أشبه"[3] فالمسوغ لجواز القلب عند المبرد هو مجرد الاختصار فقط وقد تعقبه الآمدى بما تقدم ذكره.

وحكى الخطيب القزوينى رحمه الله عن السكاكى القول بالجواز المطلق فقال: وقلبه السكاكى مطلقاً ورده غيره مطلقاً والحق أنه إن تضمن اعتباراً لطيفاً قبل"[4].

(١) ديوان الأخطل صـ ٨٠ والأغانى للأصفهانى ١١/ ٦٨ ط دار الفكر تحقيق على مهنا وسمير جابر ومعنى هداجون: الذين هدجوا وهو سير ضعيف. قال صاحب اللسان الهدج والهدجان. مشى رويد فى ضعف والهدجان مشية الشيخ ونحو ذلك. انظر لسان العرب ٢/ ٣٨٧.

(٢) الكامل فى اللغة ١/ ٤٧٥ ط مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٧ تحقيق د/ محمد أحمد الدالى.

(٣) الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى ١/ ٢٢٠ ط مكتبة الخانجى القاهرة – تحقيق الشيخ السيد أحمد صقر.

(٤) التلخيص فى علوم البلاغة صـ ١٠٠ ط دار الفكر العربى وانظر بغية الإيضاح ١/ ١٢٣.

وقال السكاكى – رحمه الله – فى المفتاح "وإن هذا النمط مسمى فيما بيننا بالقلب، وهى شعبة من الإخراج لا على مقتضى الظاهر ولها شيوع فى التراكيب، وهى مما يورث الكلام ملاحة، ولا يشجع عليه إلا كمال البلاغة تأتى فى الكلام وفى الأشعار وفى التنزيل"[١]. وما نسبه أبو عبيدة للعرب وقبله السكاكى مطلقا، وأجازه المبرد عند أمن اللبس للاختصار رفضه الكثير من أئمة التفسير واللغة وإليك تفصيل ذلك.

ثانياً: مذهب القائلين بالمنع المطلق:

ذهب كثير من أئمة التفسير واللغة إلى القول بعدم قبول القلب خاصة فى كلام الله تعالى لأنه لا يصار إليه إلا للضرورة أو للتهكم أو المحاكاة وكلام الله منزه عن ذلك.

قال القاضى ابن عطية رحمه الله: "وادعاء القلب على لفظ كتاب الله دون ضرورة تدفع إلى ذلك عجز وسوء نظر، وذلك أن الكلام يتخرج على وجهه ورصفه"[٢].

وقال الإمام أبو حيان الأندلسى –رحمه الله –: "وللنحويين فى القلب مذهبان: أحدهما أنه يجوز فى الكلام والشعر اتساعاً واتكالا على فهم المعنى".

والثانى: أنه لا يجوز فى الكلام ويجوز فى الشعر حالة الاضطرار وهذا هو الذى صححه أصحابنا ...، وإذا كان المعنى صحيحاً دون قلب فأى حاجة تدعو إليه هذا مع أن الصحيح أنه لا يجوز إلا فى الشعر فينبغى أن ينزه كتاب الله تعالى منه"[٣].

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكى صـ٢١١ ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م.

(٢) المحرر الوجيز ١/ ٢٨٧ ط دار الكتب العلمية الأولى سنة ١٩٩٣م.

(٣) البحر المحيط ١/ ١٨٦، ١٨٧ ط دار الكتب العلمية.

وما ذهب إليه أبو حيان –رحمه الله – وافقه عليه الشيخ الشنقيطى –رحمه الله – فقال: والذى يظهر لنا أنه أسلوب عربى نطقت به العرب فى لغتها إلا أنه يحفظ ما سمع منه ولا يقاس عليه .. وهذا النوع من القلب وإن أجازه بعضهم فلا ينبغى حمل الآية عليه لأنه خلاف الظاهر ولا دليل عليه يجب الرجوع إليه، وظاهر الآية جار على الأسلوب العربى الفصيح كما أوضحه أبو حيان فى البحر المحيط"[١].

ونقل الإمام الزركشى رحمه الله فى البرهان عن بعض البلاغيين ما يفيد إنكاره فقال: "وفى كونه من أساليب البلاغة خلاف فأنكره جماعة منهم حازم فى كتابه منهاج البلغاء وقال: إنه مما يجب أن ينزه كتاب الله عنه لأن العرب إن صدر ذلك منهم فبقصد العبث أو التهكم أو المحاكاة أو حال اضطرار والله منزه عن ذلك"[٢].

ويبالغ حازم[٣] فى رفض هذا الأسلوب – فى الشعر – ويقول ومن المحتمل فى هذا[٤] ومثله أن يكون من تغيير الرواة، فقد تضطرب كلمة فى محفوظهم وينحرف البناء، والراوى لا يدرى وأن يكون أصل هذا البيت جعلت فداءه نفسى ومالى، بدل فديت بنفسه نفسى"[٥].

---

(١) أضواء البيان ٧/ ٢٢٨، ٢٢٩ ط دار الفكر سنة ١٩٩٥م.

(٢) البرهان فى علوم القرآن ٣/ ٢٨٨ دار المعرفة بيروت سنة ١٣٩١هـ.

(٣) هو أبو الحسن حازم بن محمد بن الحسن بن محمد بن حازم الأنصارى القرطاجنى الأندلسى الإمام فى النحو والعروض والبيان وله سراج الأدباء فى فنه لا نظير له وله فيه اعتراضات على أرباب البيان وطريقه فيه مخالف لطريق السكاكى وعبد القاهر والرمانى توفى ٦٨٤هـ، انظر البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة محمد بن يعقوب الفيروزأبادى جـ١ صـ٧٨ ط جمعية إحياء التراث الإسلامى الكويت الأولى سنة ١٤٠٧هـ.

(٤) إشارة إلى قول عروة بن الورد: فديت بنفسه نفسى ومالى.

(٥) تقريب منهاج البلغاء، د/ محمد محمد أبو موسى صـ١٣٨ ط مكتبة وهبة.

وقد سبق حازما من أئمة اللغة ابن سنان الخفاجى فى رفض القول بالقلب وجعله من أسباب فساد المعنى فقال: "ومن وضع الألفاظ موضعها أن لا يكون الكلام مقلوبا فيفسد المعنى ويصرفه عن وجهه، ولذلك أمثلة مذكورة منها قول عروة بن الورد العبسى:

فلو أنى شهدت أبا سعاد ∴ غداة لمهجته يفوق
فديت بنفسه نفسى ومالى ∴ وما آلوك إلا ما أطيق[1]

يريد أن يقول: فديت نفسه بنفسى.

ومنه قول خداش بن زهير[2]:

وتركب خيل الهوادة بينها ∴ وتعصى الرماح بالضياطرة الحمر[3]

والضياطرة هى التى تعصى بالرماح .. فأما قول الله تعالى: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾[4] فليس من هذا بشىء وإنما المراد والله أعلم أن المفاتح تنوء بالعصبة أى تميلها من ثقلها وقد ذكر هذا الفراء وغيره"[5].

وقد جعله – أى القلب– قدامة بن جعفر رحمه الله من عيوب الشعر فقال: عيوب ائتلاف المعنى والوزن منها المقلوب: وهو أن يضطر الوزن الشعرى إلى إحالة المعنى فيقلبه الشاعر إلى خلاف ما قصد به"[6]. واستشهد ببيتى عروة السابق ذكرهما.

---

(١) خزانة الأدب لابن حجة الحموى ٢/ ٤٤٤ ط دار ومكتبة الهلال الأولى سنة ١٩٨٧ ولسان العرب ٥/ ٣١٥.

(٢) سبقت ترجمته صـ١٣.

(٣) البيت سبق عزوه وشرح مفرداته صـ١٣.

(٤) سورة القصص آية ٧٦.

(٥) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى صـ١١٤ وما بعدها ط دار الكتب العلمية الأولى ١٩٨٢م.

(٦) نقد الشعر لأبى الفرج قدامة بن جعفر صـ٢٢٢ ط مكتبة الخانجى، القاهرة، ط الثالثة تحقيقة كمال مصطفى.

ويقول الآمدى – رحمه الله – مجيبا على القائلين بجواز القلب فى كتابه الموازنة: فإن قيل هذا إنما جاء على القلب قيل له: المتأخر لا يرخص له فى القلب، لأن القلب إنما جاء فى كلام العرب على السهو، والمتأخر إنما يحتذى على أمثلتهم ويقتدى بهم، وليس ينبغى له أن يتبعهم فيما سهو فيه.

فإن قيل: فقد جاء القلب فى القرآن، ولا يجوز أن يكون ذلك على سبيل السهو والضرورة؛ لأن كلام الله يتعالى عن ذلك، وهو قوله: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ – أية ٧٦ القصص– وإنما العصبة تنوء بالمفاتيح، أى تنهض بثقلها، وقال عز وجل ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾[1] وإنما هو تدلى فدنا، وقال: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[2] أى وإن حبه للخير لشديد ولهذا أشباه كثيرة فى القرآن. قيل هذا ليس بقلب وإنما هو صحيح مستقيم وإنما أراد الله تعالى اسمه: ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أى تميلها من ثقلها ذكر ذلك الفراء وغيره وقالوا: إنما المعنى لتنئ العصبة.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ قيل المعنى إنه لحب المال لشديد والشدة البخل يقال: رجل شديد وتشدد أى بخيل يريد إنه لحب المال لبخيل متشدد، يريد إنه لحب المال أى لأجل حبه المال يبخل، وقالوا فى قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ إنما كان تدليه عند دنوه واقترابه"[3] فأصحاب هذا المذهب كما ترى لا يجيزون القول بالقلب خاصة فى القرآن الكريم لأنه من العيوب اللغوية ولا يصار إليه إلا فى الضرورة الشعرية، وما نقل عن المتقدمين فى ذلك جاء على سبيل السهو والخطأ، ولا ينبغى متابعتهم فى ذلك ويجب تنزيه النظم القرآنى عن مثله والله أعلم.

---

(١) آية ٨ النجم.

(٢) آية ٨ العاديات.

(٣) الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى ١/ ٢١٧ وما بعدها.

ثالثاً: مذهب القائلين بالتفصيل بين أن يتضمن غرضا بلاغيـاً فيجـوز أولا فيمتنع

قال الخطيب القزوينى – رحمه الله – والحق أنه إن تضمن اعتباراً لطيفاً قبـل، ومن القلب المتضمن اعتباراً لطيفاً قول رؤبة بن العجاج:

ومهمة[١] مغبرة[٢] أرجاؤه[٣] ∴ كأن لون أرضه سماؤه[٤]

والمعنى كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه فهو من المقلوب والاعتبار اللطيف هو المبالغة فى وصف لون السماء بالغبرة.

ومما هو مردود لعدم تضمنه اعتباراً لطيفاً قول حسان رضى الله عنه: يكون مزاجَها عسلٌ وماءٌ[٥] والأصل مزاجُها عسلا وماءاً وقول عروة بن الورد: فـديت بنفسه نفسى ومالى[٦] والأصل فديت بنفسى نفسه وماله"[٧].

---

(١) المهمة المفازة البعيدة، تاج العروس محمد مرتضى الزبيدى ٣٦/ ٥٠٥ ط دار الهداية.

(٢) مغبرة مملوء بالغبرة قال صاحب اللسان والغبرة لطخ الغبار والغبرة لون الغبار لسان العرب مادة غبر ٥/ ٥.

(٣) أرجاؤه: أطرافه قال صاحب اللسان ومنه قوله تعالى: ﴿والملك على أرجائها﴾ أى نواحيها، لسان العرب ١٤/ ٣٠٩.

(٤) ديوان رؤبة صـ١.

(٥) ديوان حسان بن ثابت رضى الله عنه صـ٧ ط دار ابن خلدون.

(٦) سبق عزو البيت صـ٢٤.

(٧) التلخيص فى علوم البلاغة للقزوينى صـ١٠٠ و صـ١٠١ ط دار الفكر العربى ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقى.

وقد نقل الإمام الزركشى هذا الاتجاه فى البرهان فقال: وفصل آخرون بين أن يتضمن اعتباراً لطيفاً فبليغ وإلا فلا، ولهذا قال ابن الصائغ[١]: يجوز القلب على التأويل ثم قد يقرب التأويل فيصح فى فصيح الكـلام وقـد يبعـد فيخـتص بالشعر"[٢].

ويقول ابن حبنكة الميدانى[٣] رحمه الله: ومن الخروج عن مقتـضى الظـاهر القلب ويكون القلب بإجراء التبادل بين جزءين من أجزاء الجملة لغـرض بلاغـى يستحسنه الفطناء ويلحق به القلب فى التشبيه.

وذكر الميدانى ثلاث ملاحظات ينبغى على البليغ مراعاتها ليتسنى له جـواز القلب فى الكلام:

الأولى: حين لا يتضمن القلب غرضاً مقبولاً لدى البلغاء والأدبـاء يكـون سمجا مرفوضاً، كقول عروة بن الورد: فديت بنفسه نفسى ومالى.

---

(١) ابن الصائغ: هو الهيثم بن أحمد بن محمد بن مسلم أبو الفرج القرشى الـشافعى المقـرئ المعروف بابن الصائغ توفى سنة ثلاثين وأربعمائة، انظر الوافى بالوفيات للصفدى ٢٧/ ٢٣٩ ط دار إحياء التراث.

(٢) البرهان فى علوم القرآن ٣/ ٢٨٨ ط دار المعرفة.

(٣) هو فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى من مواليد مدينة دمشق عام ١٩٢٧م فى أسرة علم ودين وأدب. وقد تربى فى مدرسة والده التى خرجت كبار علماء سوريا وصارت تعرف بمعهد التوجيه الإسلامى، سافر إلى القاهرة وانتسب إلى الأزهر ونال الشهادة العالمية مع تخصص التدريس سنة ١٩٥٤ وعمل بعد ذلك مدرسا، ثم عين مدير التعليم الشرعى فى سوريا سنة ١٩٦٠م.

ثم سافر إلى السعودية عام ١٩٦٧ ودرس فى جامعة الرياض وجامعة أم القرى وقد اختير عضوا للمجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى توفى سنة ٢٠٠٤م ١٤٢٥هـ. من أرشيف ملتقى أهل الحديث جـ١ صـ١٦١٣،

إن ما يتبادر إلى الذهن هو أنه يؤثر نفسه، ولا يفدى محبوبه بنفسه وماله.

الثانية: أرى من القلب أن يوحه الأب مثلا لابنه تكليفاً بعمل صورة مقلوبة، فيقول له مثلاً: أعطنى نقوداً لأذهب إلى السوق وأشترى لك فاكهة" أى خذ منى النقود وأحضر الفاكهة من السوق.

الثالثة: وأرى من القلب أن يلاحظ البليغ أن عند غيره كلاما يتلجلج فى صدره، ويريد أن يقوله له، إلا أنه يكتمه خجلاً أو خوفاً أو تأدباً أو غير ذلك فيقول عنه، لكنه يخاطبه به، كأنه يقول لزائره الذى يكثر من زيارته، وفى نفسه أن يوجه له عتابا على أنه لا يقابله بالمثل فى شعر صنعته مثلا لهذا:

مالى أزورك فى شوقٍ وفى حَدَب ∴ وأنت تهجرنى فى الفكر والنزل

ما هكذا يصنع الأحباب ما صَدَقَتْ ∴ حبال ودهم فى القول والعمل

أى من حقك أن تقول لى هذا الكلام[1].

هذه اتجاهات أهل العلم ومناحيهم المختلفة فى دراستهم لأسلوب القلب ما بين مؤيد ومانع ومفصل للقول ولكل أدلته وشواهده التى سبق تفصيلها وبيان ما أخذ عليها وما سلم منها للاحتجاج، الأمر الذى اقتضى مزيداً من الدراسة التطبيقية حتى يمكننا الوقوف على القول السديد فى هذه القضية وهذا فحوى الفصل التالى إن شاء الله تعالى.

---

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها – عبد الرحمن حسن بن حبنكة الميدانى ١/ ٤١١، ٤١٢

الفصل الثانى

دراسة تطبيقية لبيان القول بالقلب فى القرآن وعدمه

أفردت هذه الدراسة فى فصل مستقل لأتتبع الآيات القرآنية التى قيل بدخول أسلوب القلب فى نظمها وبيان أقول العلماء فيها بين مؤيد ومعارض بإسهاب مفصل حتى يتسنى للباحث والقارئ معا الوقوف على القول الفصل فى هذه القضية والله الموفق.

الموضع الأول: قال تعالى ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ آية ٩ البقرة.

المعنى العام للآية: بعد أن ذكر الله تعالى صفات المتقين وأعقبه بذكر صفات أضدادهم من الكافرين شرع فى بيان صفات المذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء بإظهار حقيقة أمرهم بادعائهم الإيمان بأفواههم، وما تنطوى عليه أفئدتهم يخالف ذلك وهم بفعلتهم مخادعون الله[1] والمؤمنين "لأن حقيقة الخدع أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب أو يوهمه المساعدة على ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجو منه بسهولة[2]، وهذا المنافقين مع الله ورسوله والمؤمنين بيد أن خداعهم فى الحقيقة راجع إليهم وضرره لا يتعداهم إلى غيرهم.

---

(١) فإن قيل كيف خادعوا الله تعالى وهو ممتنع لعلمه بالسرائر والضمائر فلا تجوز المخادعة عليه أجيب من وجهين الأول: أنه تعالى ذكر نفسه وأراد به رسوله على عادته فى تفخيم وتعظيم شأنه قال تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ...﴾ فالمنافقون لما خادعوا الرسول قيل إنهم خادعوا الله تعالى. والثانى أن يقال صورة حالهم مع الله حيث يظهرون الإيمان وهم كافرون صورة من يخادع.. انظر التفسير الكبير للرازى ٢/ ٥٧ ط دار الكتب العلمية.

(٢) تفسير أبى السعود ١/ ٤٠ ط دار إحياء التراث العربى.

موطن القلب فى الآية: قال العلامة أبو حيان –رحمه الله – وقد ادعى بعضهم أن هذا من المقلوب وأن المعنى وما يخادعهم إلا أنفسهم قال لأن الإنسان لا يخدع نفسه بل نفسه هى التى تخدعه وتسوله له وتأمره بالسوء"[1] وأجيب على من ادعى ذلك بأن الفاعل فى مثل هذا المفعول فى المعنى وأن التغاير فى اللفظ، فعلى هذا يصح إسناد الفعل إلى كل منهما ولا حاجة إلى القلب[2] فادعاء القلب فى هذه الآية غير مستقيم والأولى خلافه والله أعلم.

الموضع الثانى: قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ آية ١٧١ البقرة.

المعنى العام للآية: لما جاءت الآية السابقة بالنعى على الكافرين فى تقليدهم المذموم واتباعهم الأعمى لآبائهم ورؤسائهم وتعطيلهم نعمتى العقل والإدراك التى كرم الله بها بنى الإنسان جاءت هذه الآية بصورة غريبة ومثل عجيب لهؤلاء الذين فقدوا عقولهم وأضلهم التقليد الأعمى حتى كأنهم قطيع من الغنم يسوقها راعيها حيث أراد ينعق بها فتجيبه حتى ولو كان لحتفها فهى لا تعقل من نعيقه إلا ما ألفته وجرت عليه عادتها من الإقبال على هذا الصوت دون وعى أو تدبر فكذلك حال هؤلاء الكفرة فى تقليدهم لآبائهم على غير بصيرة واتباعهم لهم دون بينة أو دليل، وعلتهم فى ذلك ما حكاه القرآن ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ آية ٢٢ الزخرف.

موطن القلب فى الآية: ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع﴾ قال أبو عبيدة: إنما الذى ينعق الراعى ووقع المعنى على المنعوق به وهى الغنم تقول كالغنم التى لا تسمع التى ينعق بها راعيها. والعرب تريد الشىء فتحوله

(١) البحر المحيط ١/ ١٨٧ دار الكتب العلمية.

(٢) البرهان فى علوم القرآن ٣/ ٢٩١.

إلى شىء من سببه يقولون: أعرض الحوض على الناقة وإنما تعرض الناقة على الحوض[1]. وقال العلامة أبو حيان: "... وقيل التقدير ومثل الذين كفروا فى عدم فهمهم عن الله وعن رسوله كمثل المنعوق به من البهائم التى لا تفقه من الأمر والنهى غير الصوت، فيراد بالذى ينعق الذى ينعق به فيكون هذا من المقلوب عندهم كما تقول دخل الخاتم فى يدى، والخف فى رجلى وكقولهم عرض الحوض على الناقة وأوردوا مما ذكروا أنه مقلوب جملة، وذهب إلى هذا التفسير أبو عبيدة والفراء وجماعة، وينبغى أن يتره القرآن عنه لأن الفصيح أن القلب لا يكون إلا فى الشعر، أو إن جاء فى الكلام فهو من القلة بحيث لا يقاس عليه"[2] ولا ضرورة هنا تدعو إلى حمل الكلام على ذلك لاسيما وقد احتملت الآية وجوها أخرى من التأويل عارية عن ادعاء القلب فيها.

يقول السمين الحلبى رحمه الله: اختلف الناس فى هذه الآية اختلافاً كثيراً واضطربوا اضطراباً شديداً وأنا بعون الله قد لخصت أقوالهم مهذبة ... فمنهم من قال: معناها أن المثل مضروب بتشبيه الكافر بالناعق. ومنهم من قال: هو مضروب بتشبيه الكافر بالمنعوق به، ومنهم من قال: هو مضروب بتشبيه داعى الكافر بالناعق، ومنهم من قال: هو مضروب بتشبيه الداعى والكافر بالناعق والمنعوق به فهذه أربعة أقوال"[3] ومعنى الآية يحتملها وهى خالية من دعوى القلب فلا ضرورة تدعو إلى المصير إليه ما أمكن حمل الآية على حلافه والله أعلم.

الموضع الثالث: قال تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ

(١) مجاز القرآن ١/ ٦٣ ط مؤسسة الرسالة.

(٢) البحر المحيط ١/ ٦٥٧ ط دار الكتب العلمية.

(٣) الدر المصون ٢/ ٢٢٩ ط دار القلم دمشق.

وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ آية ٢١٣ البقرة.

المعنى العام للآية: كان الناس بين آدم ونوح عليهما السلام أمة واحدة ظاهرة على الحق قائمة على الشرع حتى عبدوا الأصنام وتفرقت بهم السبل فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، ويؤيد ذلك ما رواه ابن جرير بسنده وأخرجه الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس –رضى الله عنهما – قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين[1] قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ورجحه ابن كثير فى تفسيره بقوله "والقول الأول عن ابن عباس أصح سنداً ومعنى[2]، لأن الناس كانوا على ملة آدم عليه السلام حتى عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. ثم أرسل الله رسله تترى مؤيدة بالكتب السماوية والهدايات الربانية لترفع عنهم أمر الاختلاف والشقاق وتجمعهم على الحق الذى لا مرية فيه، ولكن جرت سنة الله فى خلقه من التفرق والاختلاف بعد ما تبين لهم الحق وقامت عليهم الحجة فهدى الله أهل السعادة وأضل أهل الشقاوة، وتلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا.

---

(١) المستدرك على الصحيحين كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين باب ذكر نوح النبى (ﷺ) ٢/ ٥٩٦ ط دار الكتب العلمية قال الحاكم صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/ ٣٤٨ دار الفكر وقال رواه البزار وفيه= = عبد الصمد بن النعمان وثقه ابن معين وقال غيره ليس بالقوى بلفظ كان بين آدم ونوح عشرة قرون.

(٢) تفسير القرآ العظيم لابن كثير ١/ ٢٣٧ ط دار الحديث.

موطن القلب فى الآية: قال الفراء فى قوله تعالى ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ فى الكلام قلب واختاره الطبرى قال: وتقديره فهدى الله الذين آمنوا للحق فيما اختلفوا فيه"[1] قال ابن عطيه رحمه الله: ودعاه إلى هذا التقدير خوف أن يحتمل اللفظ أنهم اختلفوا فى الحق فهدى الله المؤمنين لبعض ما اختلفوا فيه وعساه غير الحق فى نفسه نحا إلى هذا الطبرى فى حكايته عن القراء وادعاء القلب على لفظ كتاب الله دون ضرورة تدفع إلى ذلك عجزو سوء نظر، وذلك أن الكلام يتخرج على وجهه ورصفه لأن قوله "فهدى" يقتضى أنهم أصابوا الحق وتم المعنى فى قوله "فيه" وتبين بقوله من الحق جنس ما وقع الخلاف فيه"[2] انتهى كلام ابن عطية وحسنه أبو حيان فى البحر[3]. فما اختاره الطبرى بدعوى الخوف من وقوع اللبس فى أنهم اختلفوا فى الحق فهدى الله المؤمنين لبعض ما اختلفوا فيه لا مبرر له ولا ضرورة إليه بعد تخريج الكلام على وجهه ونظمه بأن معنى "فهدى الله الذين أمنوا لما اختلفوا فيه" أى أصابوا الحق وتم المعنى، وقوله من الحق بيان لجنس ما اختلفوا فيه كما حكاه ابن عطية والله أعلم.

الموضع الرابع: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ آية ٤٠ آل عمران.

المعنى العام للآية: هذه الآية واردة فى سياق الحديث عن آل عمران الذين اصطفاهم الله على العالمين، فبعد أن شاهد زكريا عليه السلام الكرامات التى أظهرها الله لمريم عليها السلام ودعائه حينئذٍ بالذرية الطيبة وبشارة الملائكة له

---

(١) جامع البيان ٢/ ٣٤٠.

(٢) المحرر الوجيز ١/ ٢٨٧ط دار الكتب العلمية الأولى سنة ١٩٩٣م. والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣/ ٣٣ ط دار إحياء التراث العربى ١٩٨٥م.

(٣) البحر المحيط ٢/ ١٤٧.

باستجابة الله لدعائه أراد أن يتثبت من الخبر فقال مستفهما على سبيل التعجب لا الإنكار "أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر" أى قد انقطعت الأسباب إلى ذلك، فأجيب بأن مشيئة الله لا تتوقف على الأسباب والمسببات وقدرته مطلقة لا يعجزها شيء فى الأرض ولا فى السماء فبيده مقاليد كل شيء يفعل ما يشاء ويختار.

موطن القلب فى الآية: قال أبو حمزة والفراء والمؤرج بن المفضل هذا من المقلوب أى قد بلغت الكبر كما يقال بلغنى الجهد أى إنى فى جهد"[1] و يبين العلامة ابن عاشور –رحمه الله– فائدة القلب هنا فيقول: قوله ﴿قد بلغنى الكبر﴾ جاء على طريق القلب وأصله وقد بلغت الكبر وفائدته إظهار تمكن الكبر منه كأنه يتطلبه حتى بلغه كقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾ النساء آية ٧٨"[2].

فحسن القلب فى هذا الموضع لأنه يتضمن لطيفة وهى الإشارة إلى أن الكبر قد لازمه وتمكن منه حتى أصابه بالضعف والأسقام بخلاف قولنا: قد بلغت الكبر، فإنه عار عن تلك الفائدة.

الموضع الخامس: قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آية ١٥٩ آل عمران.

المعنى العام للآية: وردت هذه الآية فى سياق الآثار والنتائج المترتبة على غزوة أحد، وفيها يخبر المولى عز وجل عن الكمال الخلقى والشمائل المثلى التى منحها حبيبه (ﷺ) وهى رحمته ورأفته بالمؤمنين التى لو وصف بضدها من القسوة والغلظة لترتب على ذلك تفرقهم من حوله وحرمانهم من سعادة الدارين لذلك فاعف

(١) تفسير الثعلبى ٣/ ٦٥ ط دار إحياء التراث العربى الأولى سنة ٢٠٠٢م.

(٢) التحرير والتنوير ٣/ ٢٤٢ ط الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

يامحمد عن مسيئهم واستغفر لمذنبهم وشاور ذا الرأى والنهى منهم وجاءت هذه الأوامر على هذا النسق البديع والترتيب المحكم بالعفو عنهم فيما يتعلق بخاصة نفسه ثم الاستغفار لهم فيما بينهم وبين بارئهم حتى إذا صفت نفوسهم من التبعات أصبحوا أهلا لمشاورتك لهم وبعد هذا فإذا بدا لك من الأمر ما فيه مصلحة ودفع مضرة فاعزم عليه وتوكل على الله فإن الله يحب المتوكلين.

موطن القلب فى الآية: قال الإمام أبو حيان: ومن غريب النقول والمقول وضعيفه الذى يتره عنه القرآن قول بعضهم: إن قوله تعالى: ﴿وشاورهم فى الأمر﴾ أنه من المقلوب والمعنى وليشاوروك فى الأمر"[1].

وهذا القول فيه ما فيه من الغرابة والنكراة فلا يترتب عليه فائدة ولا على عدمه أثر لأن الأوامر فى الآية موجهة إلى الرسول (ﷺ) ولا صارف لها إلى غيره فالقول بالقلب هنا تنويع للمأمور وصرف عن ظاهر اللفظ بلا دليل والله أعلم.

الموضع السادس: قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ آية ٤ الأعراف.

المعنى العام: اعلم أنه تعالى لما أمر رسوله (ﷺ) بالإنذار والتبليغ، وأمر المنذرين بالاتباع وعدم الإعراض، ذكر فى هذه الآية عقوبة ذلك الإعراض من الإهلاك والعذاب الشديد فقال: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أى كثير من القرى أعرضوا عن الحق ولازموا الباطل، فكان عاقبتهم أن جاءهم عذابنا ليلاً أونهاراً، ولم تكن لهم دعوى حينئذٍ إلا أن قالوا ياولنا إنا كنا ظالمين، ولكن هيهات أن ينفعهم اعترافهم هذا بعد معاينة العذاب ووقوع أمر الله تعالى.

موطن القلب فى الآية: ذهب بعض المفسرين إلى أن فى قوله تعالى ﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ قلب، والأصل جاءها بأسنا فأهلكناها. قال صاحب

(١) البحر المحيط ٣/ ١٠٥.

التحرير والتنوير: وعن بعضهم أن الكلام جرى على طريقة القلب والأصل: جاءها بأسنا فأهلكناها، وهو قلب خالى عن النكتة فهو مردود[١]. فإن قيل إن لفظ الآية يقتضى تقدم الإهلاك على مجئ البأس وليس الأمر كذلك لأن مجئ البأس مقدم على الإهلاك: أجيب بأن العلماء أجابوا عن هذا من وجوه: الأول: المراد بقوله ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أى حكمنا بهلاكها فجاءها بأسنا"[٢].

الثاني: أن فعل أهلكناها مستعمل فى إرادة الفعل كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ آية ٦ المائدة. وقوله ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ -آية ٩٨ النحل- والمعنى إذا أردتم القيام إلى الصلاة وإذا أردت القراءة، واستعمال الفعل فى معنى إرادة وقوع معناه من المجاز المرسل[٣] عند السكاكى .. وقوله ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ فى موضع أردنا إهلاكها بقرينة فجاءها بأسنا والبأس الإهلاك والتعبير عن إرادة الفعل بذكر الصيغة التى تدل على وقوع الفعل يكون لإفادة عزم الفاعل على الفعل عزماً لا يتأخر عنه العمل بحيث يستعار اللفظ الدال على حصول المراد للإرادة لتشابههما، وأما الإتيان بحرف التعقيب بعد ذلك فللدلالة على عدم التريث، فدل الكلام كله على أنه تعالى يريد فيخلق أسباب الفعل المراد فيحصل الفعل، كل ذلك يحصل كالأشياء المتقارنة، وقد استفيد هذا التقارن بالتعبير عن الإرادة بصيغة تقتضى وقوع الفعل والتعبير عن حصول السبب بحرف التعقيب، والغرض من ذلك تهديد السامعين المعاندين

(١) التحرير والتنوير ٨/ ٢٠.

(٢) التفسير الكبير ١٤/ ١٨ ط دار الكتب العلمية سنة ٢٠٠٠م الأولى.

(٣) المجاز المرسل هو: الكلمة المستعملة قصداً فى غير معناها لعلاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلى، جواهر البلاغة صـ٢٣٢.

وتحذيرهم من أن يحل غضب الله عليهم فيريد إهلاكهم فضيق عليهم المهلة لئلا يتباطأوا فى تدارك أمرهم والتعجيل بالتوبة[١].

الثالث: ذكره السمين وهو أن المعنى: أهلكناها أى خذلناهم ولم نوفقهم فنشأ عن ذلك هلاكهم فعبر بالمسبب عن سببه وهو باب واسع[٢]" وذكر أجوبة أخرى لا يلتفت إليها لضعفها.

والخلاصة: أن قوله تعالى ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ ليس وارداً على القلب إذ ليس فى تقدير القلب هنا نكتة بلاغية، وأما السبب فى تقدم الإهلاك على مجئ البأس فيتأول بإرادة الإهلاك، والمعنى أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا وهو من باب المجاز المرسل عند السكاكى – كما ذكر صاحب التحرير– أو المعنى حكمنا بإهلاكها – كما ذكر الإمام الرازى – أو خذلناهم ولم نوفقهم فنشأ عن ذلك الهلاك، فذكر المسبب وهو الهلاك وأراد السبب وهو الخذلان وعدم التوفيق كما ذكر السمين الحلبى.

الموضع السابع: قال تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ آية ١٠٥ الأعراف.

المعنى العام للآية: من شأن الرسل عليهم السلام ومنهم كليم الله قول الحق فهو الواجب عليهم ولا يجوز فى حقهم غيره، والدليل على ذلك تأييدهم بالمعجزات البينات الدالة على صدقهم.

فموسى عليه السلام قد استدل بهذه الآيات فى محاورته مع فرعون لأجل إرسال بنى إسرائيل معهم وتحريرهم من عبودية فرعون وملائه.

(١) التحرير والتنوير ٨/ ٢٠ وما بعدها.

(٢) الدر المصون ٥/ ٢٤٩.

موطن القلب فى الآية: قرأ نافع حقيق علىّ بالتشديد والباقون بسكون الياء والتخفيف، واستشكل على هذه القراءة بأن قول الحق هو الواجب على موسى عليه السلام لا العكس[١]. وذكر الزمخشرى فى رفع هذا الإشكال أربعة أوجه[٢].

أحدها: أن يكون من المقلوب لأمن الإلباس كقوله (وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر) ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح يعنى فتكون بمعنى قراءة نافع أى قول الحق حقيق علىّ فقلب اللفظ فصار أنا حقيق على قول الحق[٣] قال صاحب البحر المحيط معلقاً على هذا الوجه وأصحابنا يخصون القلب بالشعر ولا يجيزونه فى فصيح الكلام فينبغى أن يتره القراءة عنه وعلى هذا يصير معنى هذه القراءة معنى قراءة نافع"[٤] فلا مصير إلى القول بالقلب لرفع هذا الإشكال لأنه ضرورة لا يصار إليها إذا أمكن القول بغيرها لاسيما أن هذا القول مرجوح عند قائله فلا يلتفت إليه.

الموضع الثامن: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ آية ١٥٤ الأعراف.

---

(١) روح المعانى ٩/ ١٨ ط دار إحياء التراث العربى.

(٢) تكملة الأوجه التى ذكرها الزمخشرى:

الوجه الثانى: أن ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق أى لازما، والثالث أن يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن "هيجنى" معنى ذكرنى فى بيت الكتاب والرابع وهو الأوجه الأدخل فى نكت القرآن أن يغرق موسى فى وصف نفسه بالصدق فى ذلك المقام لاسيما وقد روى أن عدو الله فرعون قال له لما قال إنى رسول من رب العالمين كذبت فيقول: أنا حقيق علىّ قول الحق أى واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى إلا بمثلى ناطقاً به" انظر الكشاف ٢/ ١٢٩ وما بعدها ط دار إحياء التراث العربى.

(٣) الكشاف ٢/ ١٢٩ وانظر إبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع لعبد الرحمن ابن اسماعيل بن إبراهيم ت ٦٦٥هـ ٢/ ٤٧٩ ط مصطفى الحلبى، تحقيق إبراهيم عطوة عوض.

(٤) البحر المحيط ٤/ ٣٥٦.

المعنى العام للآية: فى هذه الآية إخبار عن موسى عليه السلام لما ذهب عنه الغضب أخذ الألواح التى ألقاها قبل من شدة غضبه، وفى نسخة هذه الألواح هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون أى للمتقين الذين يرجون رحمته ويخشون عذابه فيعملون بمقتضاها ولذلك خصوا بالذكر دون غيرهم.

موطن القلب فى الآية: قال عكرمة –رحمه الله– سكت موسى عن الغضب فهو من المقلوب كقولك أدخلت الأصبع فى الخاتم وأدخلت الخاتم فى الإصبع، وأدخلت القلنسوة فى رأسى، وأدخلت رأسى فى القلنسوة[١] قال الإمام الألوسى معلقاً على هذا القول: ولا يخفى أن السكوت كان أجمل بهذا القائل إذ لا وجه لما ذكره[٢] ولا يخفى ما فى الآية من حسن الاستعارة حيث شبه الغضب بشخص يأمر وينهى ثم حذف المشبه به، وأثبت له السكوت على سبيل الاستعارة المكنية، وذهب السكاكى – رحمه الله – إلى أن فيه استعارة تبعية حيث شبه سكون الغضب وذهاب حدته بسكون الآمر الناهى والغضب قرينتها، وقيل الغضب استعارة بالكناية عن الشخص الناطق والسكوت استعارة تصريحية لسكون هيجانه وغليانه.. وأياما كان ففى الكلام مبالغة وبلاغة لا يخفى علو شأنهما"[٣].

الموضع التاسع: قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ آية ١٧٥ الأعراف.

المعنى العام للآية: يقول تعالى لنبيه ومصطفاه (ﷺ) اقرأ على قومك وكل من أرسلت إليهم من سائر البشر خبر هذا الذى أعطيناه آياتنا بما فيها من حجج وبراهين وشرائع وأحكام وآداب، فأعرض عنها ونأى منها، وانسلخ من تكاليفها

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٩٣ ط دار الشعب.

(٢) روح المعانى ٩/ ٧١ ط دار إحياء التراث العربى.

(٣) راجع روح المعانى ٩/ ٧١ بتصرف يسير فى العبارة.

وتوجيهاتها كما ينسلخ الإهاب من الجسد، فكان عاقبة أمره أن تمكن الشيطان منه بالغواية والإضلال فصار من الضالين الهالكين.

موطن القلب فى الآية: قال الإمام القرطبى: وقيل هذا من المقلوب أى انسلخت الآيات منه[1]، يقول الإمام أبو حيان –رحمه الله– معقبا على ادعاء القلب فى هذه الآية: والانسلاخ من الآيات مبالغة فى التبرى منها والبعد أى لم يعمل بما اقتضته نعمتنا عليه من إيتائه آياتنا، جعل كأنه كان ملتبساً بها كالثوب فانسلخ منها، وهذا من إجراء المعنى معنى الجرم، وقول من قال: إنه من المقلوب أى انسلخت الآيات عنه لا ضرورة تدعو إليه"[2].

ولا يخفى ما فى الآية من استعارة لأن حقيقة الإنسلاخ خروج الجسد من جلده بكشطه عنه، واستعير فى الآية للخروج المعنوى وهو ترك الامتثال بالآية وعدم العمل بمقتضاها.

الموضع العاشر: قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ آية ١٠٧ يونس.

المعنى العام للآية: فى هذه الآية دلالة على توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة فهو النافع الضار المعطى المانع إذا أعطى ما منع أحد، وإذا منع ما أعطى أحد، لا يملك كشف الضر إلا هو، ولا إرادة النفع إلا هو يصيب به من يشاء من عباده وهو ذو الفضل والمغفرة رحمته وسعت كل شىء فهو الغفور الرحيم.

موطن القلب فى الآية: قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ قال الواحدى: هو من المقلوب معناه وإن يرد بك الخير، ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالآخر جاز

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٢١.

(٢) البحر المحيط ٤/ ٤٢١.

إبدال كل واحد منهما بالآخر، وأقول التقديم فى اللفظ يدل على زيادة العناية فقوله: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ يدل على أن المقصود هو الإنسان وسائر الخيرات مخلوقه لأجله فهذه الدقيقة لا تستفاد إلا من هذا التركيب"[1].

فحسن القلب فى هذا الموطن لتضمنه لطيفة وهى الإشارة إلى أن المقصود هو الإنسان وسائر الخيرات خلقت لأجله بخلاف قولنا وإن يرد الخير بك فإنه عار عن هذه الفائدة.

الموضع الحادى عشر: قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ آية ٢٨ هود.

المعنى العام للآية: هذه الآية ذكرت فى سياق الحديث عن سيدنا نوح عليه السلام ودعوته لقومه وجدالهم له، فكان من ثنايا محاورته لهم قوله أخبرونى إن كنت على بينة وعلم يقينى بالله وبما أمرنى به من عبادة وتوحيد وآتانى رحمة من عنده بالوحى والنبوة والطاعة، فحجبت عنكم فلم تروها هل نجبركم على الإيمان بها والعمل بمقتضاها، والحال والشأن كراهيتكم لها.

موطن القلب فى الآية: ذكر الإمام أبو حيان –رحمه الله – فى مرجع الضمير فى قوله تعالى: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أقوالاً[2] منها قول من قال هذا من

(١) التفسير الكبير ١٧/ ١٤٠ ط دار الكتب العلمية.

(٢) يقول الإمام أبو حيان: إن كانت الرحمة هى البينة فعود الضمير مفرداً ظاهراً، وإن كانت غيرها كما اخترناه فقوله: "وآتانى رحمة من عنده" اعتراض بين المتعاطفين، قال الزمخشرى حقه أن يقال فعميتا "قلت" الوجه أن يقدر فعميت بعد البينة وأن يكون حذفه للاقتصار على ذكره فتلخص أن الضمير يعود إما على البينة وإما على الرحمة وإما عليهما باعتبار أنهما واحد. انظر البحر المحيط ٥/ ٢١٦.

المقلوب فعميتم أنتم عنها كما تقول العرب أدخلت القلنسوة فى رأسى ومنه قول الشاعر: ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه[1] قال أبو على وهذا مما يقلب ليس فيه إشكال وفى القرآن "فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله انتهى"[2].

وقال مكى – رحمه الله – قوله: ﴿فعميت عليكم﴾ من خففه من القراء حمله على معنى فعميتم عن الأخبار التى أتتكم وهى الرحمة فلم تؤمنوا بها ولم تعم الأخبار نفسها عنهم، ولو عميت هى لكان لهم فى ذلك عذراً إنما عموا هم عنها فهو من المقلوب، كقولهم أدخلت القلنسوة فى رأسى، وأدخلت القبر زيداً، فقلت جميع هذا فى ظاهر اللفظ لأن المعنى لا يشكل ومثله قوله تعالى: ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ وقيل معنى فعميت لمن قرأ بالتخفيف فخفيت فيكون غير مقلوب على هذا، وتكون الأخبار التى أتت من عند الله خفى فهمها عليهم لقلة مبالاتهم بها وكثرة إعراضهم عنها، فأما معناه على قراءة حفص وحمزة والكسائى الذين قرأوا بالتشديد والضم على ما لم يسم فاعله فليس فيه قلب ولكن الله عماها عليهم لما أراد بهم من الشقوة يفعل ما يشاء سبحانه[3].

وقد عقب الإمام أبو حيان على إدعاء القلب فى الآية –كدأبه فى ذلك – والقلب عند أصحابنا مطلقا لا يجوز إلا فى الضرورة، وأما قول الشاعر فليس من باب القلب بل من باب الاتساع فى الظرف، وأما فى الآية فأخلف يتعدى إلى

---

(١) تمام البيت:

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه ∴ وسائره باد إلى الشمس أجمع

البيت لم أعثر على قائله انظر كتاب سيبويه ١/ ١٨١ ط دار الجيل الأولى تحقيق عبد السلام هارون وخزانة الأدب ٤/ ٢١٩.

(٢) البحر المحيط ٥/ ٢١٦.

(٣) مشكل إعراب القرآن مكى بن أبى طالب ١/ ٣٦٠ وما بعدها ط مؤسسة الرسالة تحقيق د/ حاتم صالح الضامن الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥هـ.

مفعولين ولكان يضيف إلى أيهما شئت فليس من باب القلب، ولو كان فعميت عليكم من باب القلب لكان التعدى بعن دون على ألا ترى أنك تقول عميت عن كذا ولا تقول عميت على كذا"[1].

فالقول بالقلب فى قراءة التخفيف والبناء للمعلوم مردود، وما احتج به القائل من الشعر ليس من بابه، وإنما هو من باب الاتساع فى الظرف، وما استدل به من قوله تعالى: ﴿مخلف وعده رسله﴾ ليس من باب القلب أيضاً لأن أخلف يتعدى إلى مفعولين فيضاف إلى أى منهما والآية التى بين أيدينا لا قلب فيها أيضاً بدليل تعدى الفعل "فعميت" بعلى ولو كان من باب القلب لتعدى بعن، فمعنى قوله "فعميت عليكم" فخفيت عليكم، وقد تقدمت وجوه أخرى[2] فى بيان مرجع الضمير فى قوله "فعميت عليكم" ذكرها أبو حيان ينتفى معها القول بالقلب.

الموضع الثانى عشر: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ آية ٣٨ الرعد.

المعنى العام للآية: نزلت هذه الآية فى دفع شبه المبطلين الذين ينكرون على الرسول (ﷺ) النبوة وهو ذو صاحبة وذرية فالجواب: أنه لم يكن بدعاً من الرسل فى ذلك وأن رسل الله من قبله كان لهم أزواج وذرية، مثل نوح وإبراهيم وداود وسليمان وغيرهم، ثم أتى الجواب على من اقترحوا عليه أن يترل عليهم آية بأنه ما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله، فالرسل مربوبون لله تحت إمرته وسلطانه لا يملكون شيئا إن شاء أعطاهم الله، وإن شاء منعهم ولكل وقت محدد يعطى فيه أو

---

(١) البحر المحيط ٥/ ٢١٦ وما بعدها.

(٢) انظر ص٤٣ بالهامش.

يمنع كتاب كتب الله فيه ذلك الأجل وحدده لا يتقدمه ولا يتأخر عنه وكل شيء عنده بمقدار.

موطن القلب فى الآية: قال الضحاك والفراء: لكل كتاب أجل على طريقة القلب قال القاضى أبو محمد: وهذا العكس غير لازم ولا وجه له، إذ المعنى تام فى ترتيب القرآن بل يمكن هدم قولهما بأن الأشياء التى كتبها الله تعالى أزلية باقية "كنعيم أهل الجنة وغيره يوجد كتابها لا أجل له"[1] فقوله تعالى لكل أجل كتاب عام فى جميع الأشياء التى لها أجال فما من شيء منها إلا وله أجل معلوم بدايته وخاتمته وكل أجل مكتوب محصور وعلى هذا يستقيم المعنى، وادعاء القلب كما زعم الضحاك والفراء يقتضى فساد المعنى، وعليه أن لكل شيء مكتوب أجلا، ولا يسلم هذا القول من الاعتراض بأن ثمة أشياء مكتوبة ليس لها أجل كنعيم الجنة وغيره.

الموضع الثالث عشر: قال تعالى ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ آية ٣٦ إبراهيم.

المعنى العام للآية: هذه الآية واردة فى سياق دعاء الخليل عليه السلام ربه لذريته بجعل مكان إقامتهم وهو البلد الحرام آمنا يأمن فيه كل من دخله على نفسه وماله، وأن يبعدهم عن عبادة الأصنام لأنها السبب فى إضلال الكثير من الناس فوقعوا فى براثن الشرك، فمن تبعنى من ذريتى على التوحيد فإنه على السمحاء، ومن عصانى وآثر الشرك والضلال فإنك غفور رحيم تفعل ما تشاء وتختار، ونظيره قول الله حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ آية ١١٨ المائدة.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٦.

ومحل قول إبراهيم لهذا القول كما قال القرطبى -رحمه الله-: "وقيل قال هذا قبل أن يعرفه الله أن الله لا يغفر أن يشرك به، وقيل غفور رحيم لمن تاب من معصيته قبل الموت وقال مقاتل بن حيان ومن عصانى فيما دون الشرك"[1].

موطن القلب فى الآية: قال الإمام البغوى: يعنى ضل بهن كثير من الناس عن طريق الهدى حتى عبدوهن وهذا هو المقلوب نظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ آل عمران آية ١٧٥[2].

وادعاء القلب هنا لا ضرورة إليه لأن إسناد الإضلال إلى الأصنام ليس على سبيل الحقيقة بل هو من قبيل المجاز قال الإمام القرطبى: "لما كانت سبباً للإضلال أضاف الفعل إليهن مجازاً فإن الأصنام جمادات لا تفعل"[3].

الموضع الرابع عشر: قال تعالى ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ آية ١٢٧ النحل.

المعنى العام للآية: هذه الآية من جملة الأوامر والآداب التى أمر الله حبيبه ومصطفاه بالامتثال بها، والتحلى بفضائلها ومنها الصبر على ما عزم عليه من معاقبة المشركين بالتمثيل بهم جزاءً لفعلتهم الشنيعة بعمه حمزة - رضى الله عنه-، وترك التمثيل والمعاقبة هو الأليق بحاله، وأن ذلك لا يكون إلا بتوفيق الله ومعونته عليه، فما صبرك إلا بالله، ولا تحزن وتتألم عليهم لمفارقتهم للهدى، وإيثارهم سبيل الغى، ولا يصبك هم وضيق من مكرهم فإن الله كافيك ذلك؛ لأنه مع الذين اتقوا والذين هو محسنون، وأنت إمام المتقين وقدوة المحسنين فأنت أحق بالنصرة والعناية من غيرك.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٣٦٨.

(٢) معالم التنزيل للبغوى ٤/ ٣٥٤ ط دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الرابعة ١٩٩٧م.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٣٦٨.

موطن القلب فى الآية: قال الإمام النيسابورى "من قرأ بكسر الضاد فظاهر وهو من الكلام المقلوب الذى يشجع عليه أمن الإلباس، لأن الضيق وصف فهو يكون فى الإنسان، ولا يكون الإنسان فيه، وفيه لطيفة أخرى وهى أن الضيق إذا عظم وقوى صاز كالشىء المحيط من جميع الجوانب، ومن قرأ بفتحها[1]، فإما على أنه مصدر أيضاً أو على أنه مخفف ضيق فمعناه فى أمر ضيق"[2].

فأصل الكلام قبل القلب فلا يكون الضيق فيك بيد أن القلب حسن هنا لأمن اللبس، ولتضمنه اللطيفة السابق ذكرها بخلاف ما إذا جرى الكلام على أصله فإنه خال منها والله أعلم.

الموضع الخامس عشر: قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ آية ١٠٨ طه.

المعنى العام للآية: وردت هذه الآية فى سياق الحديث عن أحوال الخلق يوم القيامة، فمن أحوالهم فى ذلك اليوم اتباعهم لداعى البعث للحساب والجزاء لا يستطيع أحد عصيانه وإهمال ندائه، بل الحال والشأن كما أخبر الله فى كتابه ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ. مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ آية ٧، ٨ القمر وحينئذ خشعت الأصوات وسكتت رهبة وخشية من الرحمن فلا تسمع أيها المخاطب إلا همساً صوتاً خافتاً هيبة للموقف وإجلالاً لمالكه.

---

(١) قرأ ابن كثير "فى ضيق" هنا وفى النمل بكسر الضاد والباقون بفتحها. انظر التيسير فى القراءات السبع لأبى عمرو الدانى صـ١٣٩، ط دار الكتاب العربى الثانية ١٩٨٤م.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن ابن محمد بن الحسين القمى النيسابورى ١٤/ ١٣٢ ط مصطفى الحلبى الأولى سنة ١٩٦٥م.

موطن القلب فى الآية: قال الإمام البغوى ﴿لا عوج له﴾ أى لدعائه وهو من المقلوب أى: لا عوج لهم عن دعاء الداعى لا يزيغون عنه يمينا وشمالاً، ولا يقدرون عليه بل يتبعونه سراعاً[1] قال الإمام الألوسى معقباً على هذا القول: وقيل هو على القلب أى لا عوج لهم عنه بل يأتون مقبلين إليه متبعين لصوته من غير انحراف وحكى ذلك عن الجبائى وليس بشىء[2] ولا ضرورة تدعو إلى القلب هنا ومعنى الكلام على أصله كما ذكر الألوسى لا عوج للداعى على معنى لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وهذا كما يقال لا عصيان له ... وقيل لا عوج لدعائه فلا يميل إلى ناس دون ناس بل يسمع جميعهم وحكى ذلك عن أبى مسلم"[3].

الموضع السادس عشر: قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ آية ٣٧ الأنبياء.

المعنى العام للآية: فى هذه الأية بيان لما جبل عليه الإنسان من العجلة واستبطائه للأمور فكأنه خلق منها، فالمؤمنون يستعجلون نصر الله وإنزال العقوبة بالكافرين، ويقولون ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ آية ٢١٤ البقرة- والمشركون يستعجلون العذاب تهكماً وعناداً ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ آية ٤٨ يونس – فأنزل الله جوابا عليهم "سأريكم آياتى فلا تستعجلون" أى سأريكم آياتى فى انتقامى وغضبى فلا تستعجلون وقوعه فإنه كائن لا محالة.

موطن القلب فى الآية: قال أبو عمرو وأبو عبيدة وقطرب وثعلب وابن السكيت فى ذلك قلب والتقدير خلق العجل من الإنسان، على معنى أنه جعل من

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ٢٩٥ وتفسير الثعلبى ٦/ ٢٦١ ط دار إحياء التراث العربى سنة ٢٠٠٢م.

(٢) روح المعانى ١٦/ ٢٦٤.

(٣) السابق نفس الصفحة.

طبائعه وأخلاقه للزومه له وبذلك قرأ عبد الله وهو قلب غير مقبول[١] قال ابن جنى: والأحسن أن يكون تقديره خلق الإنسان من العجلة لكثرة فعله إياه واعتماده له، وهو أقوى فى المعنى من القلب؛ لأنه أمر قد اطرد واتسع فحمله على القلب يبعد فى الصنعة ويضعف المعنى، ولما خفى هذا على بعضهم قال: إن العجل ها هنا الطين قال: ولعمرى إنه فى اللغة كما ذكر غير أنه ليس هنا إلا نفس العجل ألا ترى إلى قوله: ﴿سأريكم آياتى فلا تستعجلون﴾ ونظيره ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾ آية ١١ الإسراء ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ النساء آية ٢٨ – لأن العجلة ضرب من الضعف لما تؤذن به الضرورة والحاجة"[٢] وقد ذهب الإمام الطبرى إلى فساد القول بالقلب فى الآية فقال: وفى إجماع أهل التأويل على خلاف هذا القول الكفاية المغنية عن الاستشهاد على فساده بغيره. قال أبو جعفر والصواب من القول فى تأويل ذلك عندنا الذى ذكرناه عمن قال معناه: خلق الإنسان من عجل فى خلقه أى على عجل وسرعة فى ذلك"[٣] فالمصير إلى القول بالقلب فى الآية بعيد فى الصنعة وضعيف فى المعنى –كما ذكر ابن جنى – واستدل الإمام الطبرى على فساده بإجماع أهل التأويل على خلاف هذا القول، والصواب فى ذلك أن يكون المعنى "خلق الإنسان من عجل" كأنه مخلوق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم، جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع وهو منه مبالغة فى لزومه له"[٤].

الموضع السابع عشر: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ آية ٧٤ الفرقان.

---

(١) روح المعانى ١٧/ ٤٨.

(٢) الخصائص لابن جنى ٢/ ٢٠٣ وما بعدها ط عالم الكتب بيروت تحقيق محمد على النجار.

(٣) جامع البيان ١٧/ ٢٧.

(٤) تفسير البيضاوى ٤/ ٩٣ ط دار الفكر.

المعنى العام للآية: هذه الآية من جملة صفات عباد الرحمن، وهى الصفة الثامنة من صفاتهم، فهم يطلبون فى دعائهم ما تقر به أعينهم من أزواج وذريات يكونون لهم عونا فى الطاعة ويعملون لمرضاته تعالى، وأن يكونوا قدوة للمتقين يقتدون بهم فى فعل الخيرات واتقاء المنكرات.

موطن القلب فى الآية: قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ قيل هذا من المقلوب: واجعل المتقين لنا إماماً واجعلنا مؤتمين مقتدين بهم وهو قول مجاهد"[١] ودعوى القلب هنا لا ضرورة إليها لاسيما والكلام جار على ظاهره، والمعنى "واجعلنا للمتقين إماما" أى "قدوة يقتدى بنا فى الخير، وهذا لا يكون إلا أن يكون الداعى متقياً قدوة، وهذا هو قصد الداعى"[٢].

الموضع الثامن عشر: قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ آية ٧٧ الشعراء.

المعنى العام للآية: هذه الآية وردت فى سياق الحديث عن نبأ إبراهيم عليه السلام، ومحاجاته لقومه فى إبطال عبادتهم للأصنام، وكان من جملة ما ذكر أن هذه الأصنام أعداء له وتتحقق هذه المعاداة يوم القيامة، لأن كل ما عبد من دون الله يتبرأ يوم القيامة ممن عبده، ويعلن عداوته له طلبا للنجاة بنفسه من عذاب الله، ويصح أن تكون هذه العداوة كائنة أيضاً فى الدنيا، لأنها لما كانت سبباً فى جلب المضار ودفع المنافع بالحيلولة بين عابديها وبين أسباب السعادة فى الدارين تحقق فيها معنى العداوة والله أعلم بمراده.

موطن القلب فى الآية: نشأ القلب جوابا عن سؤال يتبادر فى ذهن السامع، كيف تكون الأصنام أعداءاً له وهى جمادات، والعداوة لا توجد إلا من حى عاقل؟ والجواب عنه من وجهين:

---

(١) معالم التنزيل ٦/ ٩٩ والجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٣٨ وزاد المسير ٦/ ١١١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٣٨.

موطن القلب فى الآية: هذه الآية عمدة الاستشهاد للقائلين بوقوع القلب فى القرآن الكريم، وكثر النزاع فيها عند المفسرين واللغويين لبيان ما فيها من قلب أو عدمه، وإليك تفصيل ذلك: "ذهب أبو عبيدة ومن وافقه إلى أن فى الكلام قلباً تقديره ما إن العصبة لتنوء بها يقال ناء فلان بكذا إذا نهض مثقلا"(١).

يقول صاحب كتاب سورة القصص دراسة تحليلية(٢): وقوله تعالى ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ قول بديع بليغ فيه كل أنواع التصوير الفنى، وذلك نابع من إسناد النوء بالحمل مجازيا إلى المفاتيح لا إلى العصبة أولى القوة فهو من المقلوب لفظاً ومعنى، وفى هذا القلب يتجسد التصوير البلاغى، وتتمثل الصورة البلاغية واضحة كل الوضوح بما يراه القارئ فى ذهنه من صورة عصبة أولى قوة تنوء بهم مفاتيحهم الخاصة بكنوز قارون، فكأن القرآن الكريم أسند كل الصورة هاهنا إلى المفاتيح، وجعلها محور النص لأن من عادة العرب فى كلامها أن تقدم ما بيانه عندها أهم"(٣) وهذا القول لا يسلم من النقد عند علماء العربية والمفسرين. قال الفراء: وقد قال رجل من أهل العربية "ما إن العصبة لتنوء بمفاتحه" فَحُوِّل الفعل إلى المفاتح كما قال الراجز:

إن سراجا لكريم مفخره ∴ تحلى به العين إذا ما تجهره(٤)

وهو الذى يحلى بالعين، فإن كان سُمِعَ بهذا أثراً فهو وجه، وإلا فإن الرجل جهل المعنى"(٥).

---

(١) انظر مجاز القرآن ١/ ٣٨، ٣٩ ومعالم التنزيل ٣/ ٤٥٤ وتفسير السمعانى ٤/ ١٥٥ وزاد المسير ٦/ ٢٤٠.

(٢) د/ محمد مطنى.

(٣) سورة القصص دراسة تحليلية صـ١١٥، د/ محمد مطنى.

(٤) البيت ذكره صاحب اللسان مادة نوأ ١/ ١٧٥ ولم أعثر على قائله.

(٥) معانى القرآن للفراء ٢/ ٣١٠ تحقيق الأستاذ محمد على النجار ط الدار المصرية للتأليف ولسان العرب ١/ ١٧٤ وما بعدها ط دار صادر.

وقال أبو جعفر النحاس: يذهب أبو عبيدة إلى أن هذا من المقلوب وهذا غلط والصحيح ما قال أبو زيد. قال يقال نؤت بالحمل إذا نهضت به على ثقل وناءنى إذا أثقلنى"(١).

وقال ابن عصفور: والصحيح ما ذهب إليه الفارسى أنها بالنقل ولا قلب، والفعل غير متعد فصار متعدياً بالباء لأن ناء غير متعد يقال ناء النجم أى نهض ويقال ناء أى مال للسقوط، فإذا نقلت الفعل بالباء قلت نؤت به أى أنهضته وأملته للسقوط فقوله "لتنوء بالعصبة" أى تميلها المفاتح للسقوط لثقلها.

قال: وإنما كان مذهب الفارسى أصح لأن نقل الفعل غير المتعدى بالباء مقيس والقلب غير مقيس فحمل الآية على ما هو مقيس أولى(٢).

وهذا مذهب سيبويه والخليل قال القاضى ابن عطية: قال سيبويه والخليل: التقدير لتنئ العصبة فجعل بدل ذلك تعدية الفعل بحرف الجر كما تقول ناء الحمل وأناءه ونؤت به، بمعنى جعلته ينوء والعرب تقول ناء الحمل بالبعير إذا أثقله قال القاضى: ويمكن أن يسند تنوء إلى المفاتح مجازاً لأنها تنهض بتحامل إذا فعل ذلك الذى ينهض بها وذا مطرد فى ناء الحمل بالبعير ونحوه فتأمله"(٣).

وقال العلامة ابن عاشور معقباً على قول أبى عبيدة: وأما قول أبى عبيدة بأن تركيب الآية فيه قلب فلا يقبله من له قلب"(٤).

والمختار من الأقوال ما ذهب إليه جمهور المفسرين واللغويين بانتفاء القلب فى الآية، وأن الكلام جار على ظاهره فقوله تعالى ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾

---

(١) معانى القرآن للنحاس ٥/ ١٩٩ ط جامعة أم القرى سنة ١٤٠٩ الأولى تحقيق محمد على الصابونى.

(٢) البرهان فى علوم القرآن ٣/ ٢٨٨.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٩.

(٤) التحرير والتنوير ٢٠/ ١٧٧.

معناه تميلهم من ثقلها والباء للتعدية لأن ناء لازم لا يتعدى إلا بخافض أو همزة التعدية، تقول ناء الحمل أى مال للسقوط فإذا دخل عليه حرف التعدية تقول: أناته، ونؤت به أى أملته للسقوط، وهذا اختيار اللغويين لأنه على القياس اللغوى أما القلب فليس مقيساً عليه، وذهب ابن عطية إلى أن إسناد النوء إلى المفاتح من باب المجاز وعليه فلا ضرورة إلى القول بالقلب والله أعلم.

الموضع الحادى والعشرون: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ آية ٢٠ الأحقاف.

المعنى العام للآية: فى هذه الآية بيان لحال الكفار وقت عرضهم على النار، وما يقال لهم من تقريع وتوبيخ لركونهم إلى الدنيا واغترارهم بها، وانغماسهم فى شهواتها حتى تعاموا عن الدار الآخرة، وأسقطوها من ذاكرتهم، فكانت العاقبة الجزاء المهين بسبب ما ألصقوه إلى أنفسهم من الكبر وافترائهم على الله بغير الحق، وفسقهم عن طاعة الله ورسوله، فجمعوا بين السوءتين القول الباطل والعمل الباطل فاستحقوا الإهانة والعذاب الشديد وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

موطن القلب فى الآية: قال العلامة الزمخشرى فى تفسيره: "وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به، ومنه قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ غافر آية ٤٦ – ويجوز أن يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا، ويدل عليه تفسير ابن عباس رضى الله عنهما يجاء بهم إليها فيكشف لهم عنها"[١].

(١) الكشاف ٤/ ٣٠٩ ط دار إحياء التراث العربى.

والسبب فى ادعاء القلب هنا أن الأصل أن يجاء بالمعروض إلى المعروض عليه، وفى الآية التى بين أيدينا جئ بالمعروض عليه وهم الكفار إلى المعروض وهو النار فاعتبر ذلك فنزل أحدهما منزلة الآخر، ومنه قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا. قال صاحب البحر المحيط معقبا على ما سبق: "وليس فى قولهم عرضت الناقة على الحوض ولا فى تفسير ابن عباس ما يدل على القلب، لأن عرض الناقة على الحوض وعرض الحوض على الناقة كل منهما صحيح، إذ العرض أمر نسبى يصح إسناده لكل واحد من الناقة والحوض"[١].

ويمكن أن يجاب عليهم بانتفاء السبب الذى ذكروه هنا بكون المعروض عليه صاحب الاختيار والمعروض لا اختيار له، وأهل النار مقهورون سلب منهم الاختيار والنار متصرفة فيهم، وهم كالمتاع الذى يقرب منه من يعرض عليه مثل قولهم عرضت الجارية على البيع"[٢] وعليه فلا تصح دعوى القلب فى الآية.

الموضع الثانى والعشرون: قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ آية ٨ النجم.

المعنى العام للآية: إن جبريل عليه السلام بعد استوائه بالأفق الأعلى دنا من الأرض فتدلى بنزوله على النبى (ﷺ) بالوحى.

موطن القلب فى الآية: قال ابن جزى وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره ثم تدلى فدنا فكان قاب قوسين أو أدنى[٣]، وهذا القول حسنه الطبرى فقال: "وهذا من المؤخر الذى معناه المقدم وإنما هو ثم تدلى فدنا، ولكنه حسن تقديم قوله

(١) البحر المحيط ٨/ ٦٣.

(٢) راجع البرهان ٣/ ٢٩١ بتصرف فى العبارة.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى ٤/ ٧٥ ط دار الكتاب العربى الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٣م.

دنا إذا كان الدنو يدل على التدلى والتدلى على الدنو"[١] قال صاحب البرهان مبيناً السبب الذى حملهم على قولهم بالقلب: لأنه بالتدلى نال الدنو والقرب إلى المنزلة الرفيعة وإلى المكانة لا إلى المكان، وقيل لا قلب والمعنى ثم أراد الدنو"[٢].

الموضع الثالث والعشرون: قال تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ آية ٣٢ الحاقة.

المعنى العام للآية: وردت هذه الآية فى سياق الحديث عن حال من أوتى الكتاب بشماله، وما استحق من المهانة والعقوبة، التى منها هذه الصورة بأن ينتظم فى سلسلة طويلة قدرها سبعون ذراعاً بمقاييس الآخرة التى لا يعلمها إلا هو – من سلاسل جهنم فتدخل من فيه وتخرج من دبره، أو تلتوى عليه وتضغطه حتى ينسبك فيها جزاء لما قدم فى دنياه من كفر بالله وإنكاره للبعث والحساب.

موطن القلب فى الآية: "روى أن هذه السلسلة تدخل فى فم الكافر وتخرج من دبره، فهى فى الحقيقة التى تسلك فيه فهو من المقلوب كقولهم أدخلت القلنسوة فى رأسى، وروى أنها تلتوى عليه حتى تعمه وتضغطه، فالكلام على هذا على وجهه وهو المسلوك فيها، وإنما قدم قوله فى سلسلة على اسلكوه لإرادة الحصر أى لا تسلكوه إلا فى هذه السلسلة"[٣] وإذا أمكن حمل الكلام على ظاهره فلا ضرورة تدعو إلى القول بالقلب.

الموضع الرابع والعشرون: قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ آية ١٩ الليل.

---

(١) تفسير الطبرى ٢٧/ ٤٤.

(٢) البرهان ٣/ ٢٩٢.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/ ١٤٤.

المعنى العام للآية: هذه الآية منتظمة فى سياق الحديث عن صفات صديق الأمة وخليفة رسول الله (ﷺ) فليس لأحد من الخلق عليه نعمة تجزى إلا وكافأة بها وزاد بالفضل والمنة عليهم فتمحض خالصاً فى العبودية لله يبتغى مرضاته التى وعدها الله به فلسوف يرضى بما يعطيه الله من التشريف والمثوبة.

موطن القلب فى الآية: الفراء جعلها من المقلوب بمعنى وماله عند أحد نعمة تجزى وأنشد:

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتى ∴ على وعل فى ذى المطارة عاقل[١]

وتأوله بمعنى حتى ما تزيد مخافة وعل على مخافتى.

قال أبو جعفر النحاس معقباً على ذلك: لا يجوز أن يحمل كتاب الله على القلب والاضطرارات البعيدة[٢] فالكلام جار على ظاهره ولا ضرورة إلى القلب.

الموضع الخامس والعشرون: قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ آية ٨ العاديات.

معنى الآية: هذه الآية فى معرض الحديث عن بعض صفات الإنسان التى وصف بها فى هذه السورة من كفره وجحوده لنعمة ربه وحبه الشديد للمال، حتى جعله شقيقاً للروح وربما آثره عليها.

وقالوا شقيق الروح مالك فاحتفظ ∴ به فأجبت المال خير من الروح

أرى حفظه يفضى بتحسين حالتى ∴ وتضييعه يفضى لتساؤل مقبوح[٣]

---

(١) ديوان النابغة الذبيانى صـ٦٨.

(٢) معانى القرآن للفراء ٣/ ٢٧٢ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، وإعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ٥/ ٢٤٤، ٢٤٥ عالم الكتب الثالثة سنة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨م تحقيق د/ زهير غازى زاهد.

(٣) البيتان ذكرهما أبو حيان فى البحر المحيط ٧/ ٤٦٤ ولم أقف على قائلها.

موطن القلب فى الآية: قيل هو من المقلوب والتقدير إن حبه للخير لشديد، وليس على زعمهم بل المقصود به أنه لحب المال لبخيل، والشدة البخل أى من أجل حبه للمال يبخل[1].

نتيجة الدراسة:

وبعد استقراء الآيات التى قيل بوقوع القلب فيها وخلو معظمها منه كما أفصحت عن ذلك الدراسة، يمكننا القول بأن أسلوب القلب ضرورة لا يصار إليها إلا إذا تعذر حمل الكلام على ظاهره، وتضمنه لنكتة بلاغية دعت إليه، وإذا فقد هذا فإنه مما يتره عنه ساحة الذكر الحكيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

(١) سر الفصاحة صـ١١٦ دار الكتب العلمية والبرهان ٣/ ٢٩١.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين وشفيعنا يوم الدين، وبعد،،

فبعون الله وتوفيقه انتهيت من هذه الدراسة التى لم آلُ فيها جهداً، ولم أدخر فيها وسعاً وطاقة راجياً المولى جل ذكره وعز سلطانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ينتفع به طلاب العلم، ويأخذ بأيديهم إلى الطريق المستقيم، ويثيبنى على اجتهادى، فهذا جهد المقل وعذرى أن الكمال لغير ذى الجلال محال، فالمرء غير معصوم والنسيان من طبع الإنسان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المراجع

أولاً: التفسير وعلوم القرآن

١- إبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع تأليف عبد الرحمن ابن اسماعيل بن إبراهيم ط مطفى الحلبى.

٢- الاتقان فى علوم القرآن جلال الدين السيوطى ط دار عالم المعرفة.

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الحكيم تأليف أبى السعود العمادى ط دار إحياء التراث العربى.

٤- أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين الشنقيطى ط دار الفكر سنة ١٩٩٥م.

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل البيضاوى ط دار الفكر.

٦- البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ط دار الكتب العلمية – الأولى سنة ٢٠٠١م.

٧- البرهان فى علوم القرآن للزركشى ط دار المعرفة تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم.

٨- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ط المكتبة العلمية بيروت الثالثة سنة ١٩٨١م.

٩- التحرير والتنوير لابن عاشور ط الدار التونسية.

١٠- التسهيل لعلوم التنزيل محمد بن أحمد بن محمد الغرناطى الكلبى ط دار الكتاب العربى الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٣م.

١١- تفسير السمعانى لأبى المظفر السمعانى ط دار الوطن – الأولى سنة ١٩٩٧م.

١٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط دار الحديث.

١٣- التفسير الكبير فخر الدين الرازى ط دار الكتب العلمية الأولى سنة ٢٠٠٠م.

١٤- التيسير فى القراءات السبع لأبى عمرو الدانى ط دار الكتاب العربى – الثانية سنة ١٩٨٤م.

١٥- جامع البيان لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ط دار الفكر سنة ١٤٠٥هـ.

١٦- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ط دار الشعب القاهرة.

١٧- الدر المصون للسمين الحلبى ط دار القلم دمشق.

١٨- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى ط دار إحياء التراث العربى.

١٩- زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ط المكتب الإسلامى – الثالثة – سنة ١٤٠٤هـ.

٢٠- سورة القصص دراسة تحليلية د/ محمد مطنى.

٢١- غرائب القرآن ورغائب الفرقان نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمى النيسابورى ط مصطفى الحلبى الأولى سنة ١٩٦٥م.

٢٢- فتح القدير بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير للشوكانى ط دار الفكر.

٢٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى ط دار إحياء التراث العربى.

٢٤- الكشف والبيان للثعلبى ط دار إحياء التراث العربى الأولى سنة ٢٠٠٢م.

٢٥- مجاز القرآن لأبى عبيدة ط مؤسسة الرسالة.

٢٦- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ط دار الكتب العلمية الأولى سنة ١٩٩٣م.

٢٧- معالم التنزيل للبغوى ط دار طيبة للنشر والتوزيع – الرابعة سنة ١٩٩٧م.

٢٨- معانى القرآن للفراء أبى زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبى وتحقيق الأستاذ محمد على النجار ط الدار المصرية للتأليف والترجمة / الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٢.

٢٩- معانى القرآن للنحاس لأبى جعفر النحاس ط جامعة أم القرى الأولى ١٤٠٩هـ.

ثانياً: الحديث وعلومه

١- تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى للسيوطى ط دار مكتبة الرياض الحديثة.

٢- صحيح البخارى محمد بن إسماعيل البخارى ط دار ابن كثير اليمامة الثالثة سنة ١٩٨٧م.

٣- صحيح مسلم مسلم بن الحجاج النيسابورى ط دار إحياء التراث العربى.

٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى ط دار الفكر سنة ١٩٩٢م.

٥- المستدرك على الصحيحين لابى عبد الله الحاكم النيسابورى ط دار الكتب العلمية سنة ١٩٩٠ م الأولى.

ثالثاً: علوم اللغة العربية

١- الإعجاز البيانى د/ عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ ط دار المعارف الثانية ١٩٨٤م.

٢- إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ط عالم الكتب الثالثة سنة ١٩٨٨م.

٣- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ط دار الفكر تحقيق على مهنا وسمير جابر.

٤- الإيضاح فى علوم البلاغة للقزوينى – تحقيق د/ عبد القادر حسين طه ط مكتبة الأداب.

٥- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة د/ عبد المتعال الصعيدى ط مكتبة الأداب سنة ١٩٩٩م.

٦- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها عبد الرحمن حسن بن حبنكة الميدانى.

٧- تقريب منهاج البلغاء لحازم ا لقرطاجنى تأليف / محمد محمد أبو موسى ط مكتبة وهبة.

٨- التلخيص فى علوم البلاغة للقزوينى ط دار الفكر العربى.

٩- جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى ط دار الأرقم.

١٠- جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع للسيد أحمد الهاشمى ط دار الكتب العلمية السادسة.

١١- خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموى ط دار ومكتبة الهلال الأولى سنة ١٩٨٧م.

١٢- الخصائص لابن جنى ط دار عالم الكتب تحقيق محمد على النجار.

١٣- ديوان الأخطل.

١٤- ديوان حسان بن ثابت.

١٥- ديوان رؤبة بن العجاج.

١٢٦- ديوان المتنبي.

١٢٧- ديوان النابغة الذبياني.

١٢٨- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ط دار الكتب العلمية الأولى سنة ١٤٠٢هـ.

١٢٩- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ط دار الفكر سوريا سنة ١٩٨٥م.

١٣٠- شرح التلخيص للقزويني ط دار الفكر العربي.

١٣١- الكامل في اللغة للمبرد ط مؤسسة الرسالة الثالثة سنة ١٩٩٧م.

١٣٢- لسان العرب لابن منظور ط دار صادر.

١٣٣- مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ط مؤسسة الرسالة الثانية سنة ١٤٠٥هـ تحقيق حاتم صالح الضامن.

١٣٤- المصباح المنير للفيومي ط المكتبة العلمية.

١٣٥- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي ط عالم الكتب سنة ١٩٤٧م تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

١٣٦- مفتاح العلوم للسكاكي أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ط دار الكتب العلمية الأولى سنة ١٩٨٣م.

١٣٧- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ط مكتبة الخانجي تحقيق الشيخ السيد أحمد صقر.

١٣٨- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ط مكتبة لبنان الأولى سنة ١٩٩٦م.

١٣٩- نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر ط مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الثالثة تحقيق كمال مصطفى.

رابعاً: الفقه وأصوله:

١- روضة الناظر لابن قدامة المقدسي ط جامعة الإمام محمد بن سعود الثانية سنة ١٣٩٩هـ.

٢- كشف الأسرار علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري ط دار الكتب العلمية سنة ١٩٩٧م.

٣- المناظرة في أصول التشريع الإسلامي دراسة في التناظر بين ابن حزم والباجي للأستاذ المصطفى الوظيفي سنة ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

خامساً: التراجم والطبقات

١- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ط دار الجيل الأولى ١٩٩٢م.

٢- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ط جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت الأولى سنة ١٤٠٧هـ.

٣- تاريخ الإسلام للذهبي ط دار الكتاب العربي.

٤- طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحي ط دار المدني تحقيق محمود محمد شاكر.

٥- مرآة الجنان وعبرة اليقظان أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي ط دار الكتاب الإسلامي القاهرة سنة ١٩٩٣م.

٦- الوافي بالوفيات صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ط دار إحياء التراث سنة ٢٠٠٠م.